"الكتابات الهاجيوجرافية مصدراً لدراسة التاريخ الاقتصادي للإمبراطورية البيزنطية
دراسة في ضوء هاجيوجرافية العصر البيزنطي الأوسط" (*)

مركز البحوث
والدراسات التاريخية

د.مصطفي محمود محمد محمد
مدرس تاريخ العصور الوسطي
كلية الآداب بقنا- جامعة جنوب الوادي

الملخص

تُعد كتابات سير القديسين أحد أهم المصادر غير التقليدية لتاريخ الإمبراطورية البيزنطية إذ أنها نوع من القصص الديني الشعبي كتبه رهبان ورجال دين بيزنطيون، وهي تشتمل على مجموعة واسعة من الأدب المتعلق بتلك السير، بما في ذلك السير الذاتية للقديسين، والأساطير، والمعجزات، والرؤي، والرفات المقدس، والتحقيقات الدينية الكنسية، ورغم اتساع مجالاته الأدبية إلي أنه لا يزال يهتم بشكل أساسي بسير القديسين، وتكمن قيمته في أنه أشبه بأدب السير الشعبية الذي وإن إمتلأ بالمعجزات والخوارق، يقدم عبر صفحاته مادة وفيرة وفريدة من نوعها عن الحياة اليومية للمجتمع البيزنطي، والأهم أنه يعكس ثقافة هذا المجتمع والأفكار والآراء والاتجاهات التقليدية الشعبية السائدة فيه.

وتهدف هذه الدراسة، إلي تسليط الضوء علي الكتابات الهاجيوجرافية وأنواعها، وتنوع طرائق البحث داخل هذه النصوص المقدسة، وكيفية وصف كاتب النص وقديسه عالمهم المحيط بهم خاصة فيما يتعلق بالنواحي الاقتصادية، وكيفية توظيفها في إعادة كتابة التاريخ الاقتصادي للإمبراطورية البيزنطية خلال الفترة موضوع الدراسة، من خلال استقراء نصوص سير القديسين في العصر البيزنطي الأوسط، ومحاولة استخلاص المعلومات الاقتصادية من سياق الرواية التاريخية.

الكلمات المفتاحية: سير القديسين- الإمبراطورية البيزنطية-التاريخ الاقتصادي- العصر البيزنطي الاوسط.

(*) مجلة "وقائع تاريخية" عدد (٣٤) يناير ٢٠٢١، الجزء الثانى.

Hagiographical Writings as A Source for Studying Economical History of the Byzantine Empire: A Study in the Light of Medieval Byzantine Era's Hagiography

Hagiographical writings are regarded as one of the most significant untraditional sources for the history of the Byzantine empire as such writings are regarded as a type of folklore religious story-telling written by priests and Byzantine religious people. Additionally, hagiographical writings include a large set of literature which is relevant to such biographies as well as including biographies of priests, superstitions, mythologies, miracles, holy visions, divine relics and religious church investigations. Despite their extended literal domains, hagiographical writings are still concerned mainly with biographies of priests. Significance of such writings lies in being very similar to the literature of folklore biographies, which provides unique and large material (data) about the daily life of the Byzantine society even if it is full of miracles and superstitions. Most significantly is that this type of literature reflects culture of this society, its thoughts, public opinions and its prevalent traditional and popular attitudes.

This study aims at shedding light on hagiographical writings, their types, and the various methods of writing such divine texts. Moreover, this study aims to tackle how writers of hagiographical writings and their priests described their surrounding world especially concerning economical elements, and employing such elements in rewriting the economic history of the Byzantine empire during this period. This rewriting of the Byzantine history could be performed through investigating texts of hagiographical writings in the Medieval Byzantine Era as well as attempting to extract economical information from the context of historical story-telling.

"الهاجيوجرافيا Hagiographys كلمة يونانية قديمة، تتكون من مقطعين "Αγιος Hagios" التي تعني المقدس و"Γραφικός Graphys " بمعني الكتابات، والكلمة في أبسط معانيها تعني كتابات سير القديسين، وهي تشتمل على مجموعة واسعة من الأدب المتعلق بتلك السير، بما في ذلك السير الذاتية للقديسين، والأساطير، والمعجزات، والرؤي، والرفات المقدس، والتحقيقات الدينية الكنسية، ورغم اتساع مجالاته الأدبية، إلا أنه لا يزال يهتم بشكل أساسي بسير القديسين(١).

وتُعد كتابات سير القديسين أحد أهم المصادر غير التقليدية لتاريخ الإمبراطورية البيزنطية، إذ أنها نوع من القصص الديني الشعبي، كتبه رهبان ورجال دين بيزنطيون، بعضهم معلوم وأخرون مجهولون، يسردون فيه ويخلدون من خلالها سير القديسين البيزنطيين ومعجزاتهم كما سمعوها وتناقلتها الألسن جيلًا بعد جيل، أو ربما كما تخيلوها هم أنفسهم، ومن ثم فتكمن قيمته في أنه أشبه بأدب السير الشعبية الذي وإن إمتلأت بالمعجزات والخوارق يقدم عبر صفحاته مادة وفيرة وفريدة من نوعها عن الحياة اليومية للمجتمع البيزنطي، والأهم من ذلك أنه يعكس ثقافة هذا المجتمع، والأفكار، والآراء، والاتجاهات التقليدية الشعبية السائدة فيه [٢].

وتعد سير القديسين واحدة من الأنواع الأدبية القليلة التى تعرضت عبر السنوات القليلة الماضية لتجديد واضح وبارز نتيجة للتشابك والتلاحم في كثير من جوانبها الأدبية، وإن كانت لاتزال بحاجة إلى مزيد من إعادة التقييم؛ لإزالة سوء الفهم الذي مازال يحيط بدراسة كتابات سير القديسين كحقل بحثي مستقل بذاته[٣]، خاصة أنها جذبت اهتمام العديد من الباحثين، سواء كانوا علماء اللاهوت، أو علماء فقه اللغة، أو المؤرخين من مختلف التخصصات، والمهتمين بدراسة الأدب الشعبي والفلكلور[٤]، حيث تم النظر إليها بوصفها مجموعة من الموضوعات المتنوعة، تم جمعها معًا مع اختلاف ترتيبها، وربما يقع على كاهل الباحث في هذه المادة المصدرية أن يتبع منهجًا قائمًا على الانتقاء بوصفه الطريقة الوحيدة التى يمكن من خلالها جمع سلسلة كبيرة من الحقائق التاريخية عن نقطة محددة، وهو أمر ليس بالهين على الإطلاق[٥].

وتكمن هنا صعوبة أخرى في دراسة سير القديسين، وهى أن البيزنطيين أنفسهم لم يقوموا بالتمييز والفصل بشكل واضح بين الجوانب الدينية والدنيوية، وهذا ما نجد صداه بشكل واضح في المجال الأدبي، حيث يتم تصنيف الأعمال غالبًا بناءً على مسميات محددة مثل: أدب ديني أو دنيوي، فالخطب الجنائزية العامة–مثلًا– كانت تُعد عملًا أدبيًا دنيويًا، وكان يتم تجاهل المشتمل منها على

المعجزات فى السياق الدنيوي، وبالتالي فقد كانت هناك إشكالية في تحديد ما يمكن أن نطلق عليه كتابات سير القديسين، وما لا يمكن أن نطلق عليه المسمى نفسه، حيث إنهم عاشوا في عالم متكامل ومترابط، لم يتم فيه التمييز [٦].

وبالتالي يتعين على الباحث في تلك المصادر أن يعي جيّدًا هذا الأمر، ويقوم بالتمييز بينهما، خاصة وأنه دائمًا ما يحدث خلط بين الأنواع المختلفة من سير القديسين، التي يجدر بنا في هذا المقام أن نعرضها، حتى يتسنى لنا التفريق بينها قبل التعرض لكيفية الاستفادة منها وكيفية استخلاص المادة التاريخية من تلك المصادر المهمة.

•الباسيو Passio

يأتي في مقدمة هذا النوع الأدبي، والمتمثل في سير القديسين: كتابات الباسيو Passio، الذي يُطلق عليه الصراع الروحاني، ويرتبط هذا النوع الأدبي بالموت العنيف لشخص توفي بسبب اعترافه بإيمانه المسيحي، وتشتمل على أمورٍ خاصة بحياة هذا القديس، ومعاناته مع الحاكم الوثني، وعليه فإن محتويات الباسيو تدور حول وصف تفصيلي لطبيعة ذلك القديس أو القديسة ومحنتهما، وبالتالي تكون هناك صعوبة في استخلاص مادة تاريخية عن أحوال المجتمع وجوانبه من هذا النوع الأدبي الخاص[٧].

•النقل **Translation** [٨]: ويقصد به مذهب القديس أو القديسة وعملية نقل رفاته المقدس، حيث كان ذلك أمرًا جديرًا بتسجيله في نص مستقل بذاته، يشتمل على أعمال القديس الورع، وفي حقيقة الأمر يُعد هذا النوع من السجلات النصية ذات القدسية مهمًا فحسب للتاريخ الشعبي وموقف العقلية المجتمعية منها؛ لأنها قاصرة فحسب على معجزات القديس وأعماله دون الدخول في تفاصيل تخص المجتمع[٩].

•القصص التهذيبية Edifying Stories : هى اتجاه شعبي من أدب القداسة، يتناول موجزًا قصصيًا عن الرهبان والنساك الذين عاشوا في مصر

وأقاليم وممالك أخرى من البحر المتوسط، وانتقل بعد ذلك إلى كل أنحاء العالم البيزنطى واللاتيني، كما يتناول صورًا من الحياة اليومية والظروف الاجتماعية، التي تجعل النص جذابًا للقاريء (١٠)، ومن خلال التعريف الذي قدمه علماء القداسة البيزنطية؛ فقد كانت هذه القصص القصيرة التي نشأت في السياقات الرهبانية، تهدف إلى نقل القيم المسيحية الأخلاقية من خلال سرد مغامرات الرهبان والبسطاء على حد سواء بطريقة مماثلة للرواية "الحكاية الشعبية" (١١)، وهي عبارة عن أعمال قصيرة ذات محتوي تهذيبي يمكن تصنيفها –وفقًا لوجهة النظر الحديثة– بأنها تقع ضمن قائمة أعمال القصص أو الروايات القصيرة، يكون بطلها في الغالب قديسًا ورعًا، ويشير العديد من الباحثين أن هذه القصص تعد المادة الأولية التي اعتمدت عليها سير القديسين، حيث تظهر هذه الأعمال بوصفها عناصر مميزة يقوم المؤلف بإدراجها، ولكن على الرغم من ذلك فإنها تُصنف في مجموعات مستقلة بعيدًا عن سير القديسين(١٢).

•أعمال الرسل **The Acts of the Apostles:** هذا المصطلح يدل بشكل مباشر على سير الحياة الشخصية للأنبياء، مثل أعمال الأنبياء في العهد الجديد، ويمكن استخدامها أيضًا للإشارة إلى القديسين الذين تم عدّهم في مرتبة الأنبياء، وينطبق ذلك أيضًا على أعمال الشهداء والقديسين الأوائل، ويحوي بين طياته معلومات عن تأسيس الكنيسة وانتشار المسيحية في الإمبراطورية الرومانية(١٣).

• إينكوميون**Enkomion:** هو شكل أدبي قديم، كان غرضه المدح والثناء علي شخص متميز" القديس أو القديسة"، وتم إنتاجه فى الفترة من القرن الخامس حتى القرن الحادي عشر الميلادي، وكان قاصرًا على القديسين والخطب الجنائزية، وكان يعكس العقلية البيزنطية في تلك الفترة، وبدأ كتابته مرة أخرى في القرن الحادى عشر لمدح أشخاص على قيد الحياة، لكنه كان يُكتب في المجمل للأباطرة والبطاركة(١٤).

• سير الحياة **Life(vita):** إن سيرة القديس هي نوع من الآدب

البيزنطى تسرد وتصف حياة القديس، وكان له تأثير على الأنواع الأدبية مثل: الرواية، أو السير الذاتية، أو علم التأريخ. وفي حقيقة الأمر كان الهدف الرئيس من كتابات سير القديسين البيزنطية، سواء أكانت سير حياة Saint's Lives أو مجموعة من الأساطير المرتبطة بهم، هو توضيح قداسة رفاتهم، وقدسية أيقوناتهم وأديرتهم الدينية(١٥)، وأنشطتهم الدينية (١٦).

وقامت "إيفلين باتلاجان E. Patlagen " بإجراء دراسة عن سير القديسين القديمة، ووضحت من خلالها أن القداسة كانت جزءا من الفخر الاجتماعي والسياسي للأرستقراطيين الذين يفخرون بأصولهم، والمهتمين بالمديح، فالكاتب لحياة القديس كان جزءًا من العائلة التي ترعى الدير، وأحيانا أخري قد تربطه علاقة وطيدة بهذا الدير، وكان يم تحليل كتابة القصة نفسها إلى مفاهيم عن الإستراتيجية الاجتماعية أو السياسية(١٧)، على الرغم من أن كاتب السيرة لم يقصد أن يمدنا بمعلومات عن المجتمع المحيط به بقدر ما كان مهتمًا بالقديس وتمجيده، وفي حقيقة الأمر إن أية محاولة لدراسة الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وبالتأكيد الدينية للإمبراطورية البيزنطية، لابد أن نجد صداها بشكل قوي في أدب سير القديسين، خاصة إذا كانت المصادر الأخرى صامتة أو مقتضبة في هذا الشأن (١٨).

وفيما يتعلق بدراسة المجتمع، فسيكون الأمر مختلفا إلى حد ما، حيث يكون لكاتب سير القديسين وجهة نظره الخاصة عن المجتمع، التي يوضحها من خلال أعماله، بالإضافة إلى عرضه لوجهة النظر التى يتخيلها عن القديس نفسه، وإذا كان هناك اختلاف حقًا بين الاثنين، فمن الصعب أن نقوم بالتمييز بين وجهتى النظر: فعلى سبيل المثال، لابد أن يكون القديس رحيما بالفقراء، وهو ما يظهر فى السيرة من خلال شرح كاتب سير القديسين ماذا يعني الفقر؟ وما أسبابه؟ ، كما أن أي دير يؤسسه القديس ربما يشتمل على منزل للفقراء، وفي هذا السياق، ربما يكون متوقعا منا أن نتعلم شيئا ما عن وجهة نظر المؤلف عن الرفاهية الاجتماعية، وفي مثل تلك الحالات، لن يكون هناك نقص

فى المعلومات، ولكن تكمن المشكلة في كيفية قراءة تلك المعلومات التاريخية والاقتصادية والاجتماعية وكيفية تفسيرها(١٩). وكان كُتَّاب السير يهدفون إلى عرض طريقة حياة أبطالهم من القديسين، وكيفية تفاعلهم مع مجتمعاتهم، ولذلك ، تُعد تلك السير مفيدة للغاية، كمصدر لدراسة التاريخ الاجتماعى (٢٠).

وبمرور الوقت، ربما نجد المزيد من تلك الوثائق الأرشيفية، فعلى سبيل المثال التيبيكا Typika " لوائح تنظيم الأديرة البيزنطية"، التي يمكن مقارنتها بما قام كاتب سير القديسين بكتابته، ولكن معظم التيبيكا التي تشتمل على معلومات اقتصادية أو مالية يرجع تاريخها إلى ما بعد القرن العاشر الميلادي (٢١).

أما عن تصنيف كتابات سير القديسين خلال العصر البيزنطي، طبقًا للفترات والأماكن التي تم إنتاجها بها، فنلاحظ أنها مرتبطة في المقام الأول بهوية مؤلفيها وهوية الجمهور المتلقي، خاصة أنها مختلفة عن الأعمال التاريخية Historiography التي تم إنتاجها في كل أنحاء العالم البيزنطي، وعبر فترات تاريخه المختلفة، التي كانت موجهة للصفوة الاجتماعية المثقفة، على عكس كتابات سير القديسين التي تم إنتاجها على نطاق واسع في المدن والصحاري (٢٢)، حيث حرص كتاب سير القديسين أن يتم قراءة أعمالهم بواسطة مختلف الطبقات الاجتماعية، وكان هدفهم الرئيس من ذلك هو أن يتم غرس توقير المجتمع الرهباني واحترامه ككل، وأن يتم احترام مذهب رهباني أو ضريح معين على المستوى المحلي، بالإضافة إلى أن طريقة التمثيل والمحاكاة لسير القديسين قد ساعدت غير المتعلمين والبسطاء على تحقيق الفهم الأفضل لما يسمعونه عن كتابات سير القديسين، الأمر الذي جعل هذه الكتابات أكثر شعبية(٢٣).

ومن المؤرخين الذين حاولوا دراسة سير القديسين باستخدام المنهج التاريخي التحليلي المؤرخة جان شولنبرغ jane Schulenburg حيث أكدت في دراستها أنه يمكن البحث الدقيق في سير القديسين للبحث عن معلومات قيمة لم

يقصدها المؤلف في كتابه، ومعرفة ما الذي أراد مؤلفو تلك السير توصيله لجمهور القراء، كما ذكرت جان" تفصيلًا ما تحتويه سير القديسين من معلومات قيمة تخص حياة القديس وأصله ووضعه الإجتماعي بالإضافة إلى كل ما يتعلق بميلاده وطفولته وبلوغه وما يلحق بذلك من أحداث وأزمات، ومدى تبني القديس لمهمة دينية داخل الدير أو قراره بالقيام بحياة نسكية مقدسة في العالم الخارجي، يتبعها مواصلة القداسة والرهبنة وأداء الأعمال الإعجازية الخارقة، وقد لاحظت جان أن تلك السير لحياة القديسين يتم استخدامها بشكل فعال لدراسة التاريخ الوطني المحلى ودراسة الأفكار والمعتقدات الشعبية والعقليات السائدة في تلك الفترات، وتوصلت إلى أن تلك السير تعد مصدرًا مهما وجيدًا لتاريخ الأسر والعائلات والنساء وغيرها من الأمور المتعلقة بالحياة الاجتماعية في الإمبراطورية البيزنطية[٢٤].

كما أكدت المؤرخة "جاتا جالاتريوتو" "Gata Galatariotou" من خلال دراستها القيمة عن القداسة أهمية سير القديسين، وأهميتها في تأريخ المجتمع، بقولها: " لا يمكن أن يوجد قديس إلا عندما يكون هناك مجتمع قد جعله قديسًا "، وتعد هذه المقولة مهمة للمؤرخين لتعكس مدى قيمة كتابات سير القديسين وأهميتها في دراسة المجتمع وعدم اقتصارها على النواحي الدينية فحسب[٢٥]. وفي السياق ذاته ذهب المؤرخ "بيير ديلوز" "Delooz" "Pierre" أن دراسة سير القديسين، ما هي إلا نماذج للتمثيل المجتمعي للمجتمع وللفترة التي يعيشون فيها[٢٦]. كما أكد أن كتابات سير القديسين هي المكان الذي نبحث فيه لمعرفة البيزنطيين الآخرين العامة والبسطاء وكل ما يتعلق بآمال المجتمع وآلامه[٢٧].

وقد أتاحت جهود هؤلاء المؤرخين في دراسة سير القديسين وتحليلها، وقراءة جميع النصوص فرصة الوصول إلى تواريخ هذه الأعمال، وتحديد الأماكن التى كتبت فيها، مما سهل علينا فرص الحصول على المعلومات والبيانات الطبوغرافية والاقتصادية والاجتماعية وحتى التاريخية. ونظرًا لأن هذه النصوص كانت تتمتع بالصفة الشعبية؛ فقد شعر المؤرخون بالحرية في

استغلال هذه النصوص. وذلك للحصول على معلومات مادية واقعية من سياق سير القديسين[٢٨].

إن دراسة نصوص سير حياة القديسين البيزنطية وكتاباتهم، عبر الفترات المختلفة التي مر بها التاريخ البيزنطي يعد أمرًا في غاية الصعوبة، وعلى الرغم من ذلك، فإن الدراسات المتخصصة لهذه الكتابات سمحت لنا ببعض التعميمات التي يمكن تطبيقها، وهو ما يؤكد وجود تناغم عام بين تلك النصوص من حيث الموضوعية والأسلوبية[٢٩]. وإن كان الشيء الملاحظ أن هذه الدراسات كان الغرض منها تحليل ذلك النوع الأدبي وتقييمه من وجهة نظر تاريخية، كما أن الباحثين الذين تعاملوا مع هذه السير بوصفها نوعًا أدبيًا، دائمًا ما كانوا يجنحون لتأكيد ثراء المعلومات التي تحتويها، والتي يمكن اشتقاقها من تلك النصوص في خدمة التاريخ[٣٠]، وهو الأمر الذي دفع الأب هيبوليت ديلهاى إلي عَد هذه المصادر علمًا قائمًا بذاته، وأشار إلى ضرورة اعتماد القائمين عليه على بعض العلوم المساعدة لفهمها وتقييمها وأهمهما علما "الفلسفة والتاريخ"[٣١].

وتهدف هذه الدراسة أيضًا إلى تسليط الضوء على الكتابات الهاجيوجرافية، وطريقة تنوع أساليب البحث داخل هذه النصوص المقدسة، وكيف وصف كاتب النص وقديسه عالمهما المحيط بهما خاصة فيما يتعلق بالنواحي الاقتصادية، وكيفية توظيفها في إعادة كتابة التاريخ الاقتصادي للإمبراطورية البيزنطية خلال الفترة موضوع الدراسة، والسؤال الذي تسعى الدراسة أيضًا للإجابة عنه هو: إلى أي مدى تساعدنا الكتابات الحديثة في الوصول إلى الفهم الأفضل لنصوص سير القديسين، فضلا عن فهم العالم الذي تصفه هذه النصوص أو العالم الذى تعكسه هذه النصوص؟ وهو ما سوف نوضحه من خلال استقراء نصوص سير القديسين في العصر البيزنطي الأوسط، ومحاولة استخلاص المعلومات الإقتصادية من سياق الرواية التاريخية، مع الوضع في الحسبان أن قراءة تلك السير وتفسيرها تُعد غريبة عن

خبرات الحياة الحديثة، لكننا يمكن دراستها بوصفها إنعكاسًا لجهودٍ وخبراتٍ داخلية وتعبير عن ثقافة المجتمع البيزنطي وأحواله خلال تلك الآونة.

الحياة الزراعية:

لم يقصد كُتاب سير القديسين من خلال كتاباتهم أن يخبرونا بأي شيء عن الحياة الاقتصادية للمجتمع البيزنطي، حيث إن المصادر المباشرة لتلك الموضوعات نادرة، وهي في الغالب وثائق مؤرشفة، فإن المتصفح لكتابات سير القديسين يجد أنها وسيلة مفيدة للغاية للباحثين المهتمين بالشؤون الاقتصادية في وقتنا الحاضر، خاصة أنها حوت بين طياتها كثيرًا من المعلومات ذات الأهمية حول العناصر الاقتصادية المختلفة في المجتمع البيزنطي؛ ونظرًا لأن معظم كُتاب سير القديسين البيزنطين لم يكونوا مهتمين بدراسة الاقتصاد، فإنه من الصعب أن نصف أيًا منهم على أنهم أكفاء في هذا الصدد، وعليه فإنهم عندما كانوا يقومون بشرح شيء ما يعد وثيق الصلة بذلك الموضوع، يجب أن نتساءل: لماذا يحدث هذا؟ ولابد من السعي للحصول على الإجابة من خلال دراسة هوية القديس، ومعرفة ما الذي جعله وكاتبه يرتقيان في الشأن ليسجل شيئا ما من هذا القبيل، وماذا كانت مصادر معلوماته وعندما يرتبط الأمر بدراسة المجتمع، فسيكون الأمر مختلفا إلى حد ما، حيث يكون لكاتب سير القديسين وجهة نظره الخاصة عن المجتمع، كما أنه يقوم بإبراز وجهة نظره وتوضيحها من خلال أعماله، وهذا يشكل وجهة النظر التي يتخيلها عن القديس نفسه وتكون ذات خصوصية، أما فيما يتعلق بالنواحي الاقتصادية فستكمن الصعوبة في كيفية قراءة تلك المعلومات التاريخية والاقتصادية والاجتماعية وكيفية تفسيرها [٣٢].

من أكثر الأسئلة المبهمة التي أجابتنا عنها سير القديسين المتعلقة بالنشاط الإقتصادي هي مراحل تطور ملكية الأراضي الزراعية[٣٣]، خاصة مع سعي الأباطرة إلى العمل للحد من تمدد هذه الملكية، ورغم ذلك فقد سنحت لنا الفرصة من خلال هذه الكتابات أن ندرك مدى القوة التي كان عليها الآراخنة

Archontes[٣٤]، والتى كانت تصفهم المصادر المعاصرة بالأقوياء، حيث كان وضعهم يختلف تمامًا عن وضع كبار ملاك الأرض الزراعية، وبنهاية القرن الثامن الميلادي تميزت حياة الآراخنة بالرفاهية والترف، وأصبحوا يتباهون بما يملكونه من ثروات، وأنهم استغلوا الهدنة بين الإمبراطورية البيزنطية والعرب في القرن الثامن الميلادي، كي يسافروا إلى القدس بعربات رائعة تجرها عدد كبير من البغال المحملة بالأمتعة، كما كان لديهم عدد كبير من الجنود والحراس الخاصين[٣٥].

وتمدنا سير القديسين بصورة غير مباشرة عن مدى الثراء الذي كان يتمتع به عدد من هؤلاء القديسين، ونذكر منهم القديس "ثيوفانيس المعترف" Theophanes the Confessor (٧٥٩-٨١٨م) [٣٦] حيث إنه وفقًا للسيرة الذاتية التي كتبها له تلميذه ميثوديوس، أنه كان يمتلك جزيرة كبيرة في بحر إيجة ورثها من أبيه، وعندما بلغ العاشرة من عمره، قامت والدته بالخطبة له من إحدي بنات السادة الأثرياء في المجتمع البيزنطي، وهو ما يوضح لنا أحد طرائق توسع الملكيات عن طريق المصاهرة، الأمر الذي مكن "ثيوفانيس" من توسيع رقعة ممتلكاته، التي يصف لنا كاتب سيرته أن هذا الثراء الذي كان يتمتع به القديس مكنه من تحرير الأقنان المضطهدين، وأن يوزع على الفلاحين والفقراء كثيرًا من الأموال والعطايا بعدما قرر اختيار حياة القداسة وانعزال الحياة العامة[٣٧].

والأمر نفسه تكرر صداه في سيرة القديس فيلاريتوس الرحيم Philaretos the Merciful [٣٨] التي كتبها حفيده نيقيتاس الأميني Niketas of Amneia " في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي تحديدًا ٨٢١/٨٢٢م"، حيث أشار كاتب السيرة أن القديس فيلاريتوس على الرغم من ثرائه؛ إلا أنه تزوج من امرأة نبيلة تُدعى" ثيوسفا Theosva " وعاشا في منزل جميل، كان مطعمًا بالعاج، ومُزينًا بالذهب، وكان مقصدًا للمبعوثين الذين كانوا يأتون إلى زيارة المدينة، وعاش فيه فيلاريتوس مع أبنائه وأحفاده الذين بلغ عددهم أكثر

من ثلاثين شخصًا، ولم يكتفِ نيقيتاس الأميني بذكر ذلك في سيرة القديس فيلاريتوس، بل ذهب إلى أبعد من ذلك؛ فقد عدد ثرواته وممتلكاته أيضًا، وذكر أنه كان يمتلك مائتين وخمسين قفير خلية نحل، ومائة زوج من الثيران، وستمائة رأس من الماشية، وثمانمائة من الخيول، وثمانين من البغال والحمير، و اثنا عشر ألفًا من النعاج ، وثمانية وأربعين عقارًا واسعًا، وعددًا كبيرًا من الأقنان، والشيء الملاحظ هنا أن كاتب السيرة يصف وصفًا دقيقا لممتلكات القديس، وهو ما يعكس لنا صورة واضحة عن حال المزارع الريفية، أو إن شئنا أن نقول الإقطاع الذي تمتع به، وكيف عاش الملاك الأحرار الصغار حول هذا القديس، كونه كان كريمًا مع جيرانه، وكان دائمًا ما يقوم بتوزيع الماشية عليهم، ويستطرد كاتب السيرة كيف وصل حال هذه الممتلكات إلى الدمار جراء الهجمات الإسلامية التي تعرضت لها هذه المنطقة، الأمر الذي ترتب عليه فيما بعد من تقليص حجم هذه الثروة، حيث يضيف أنه لم يتبق له سوى زوج من الثيران، وبقرة واحدة، وحصان واحد، واثنين من الأقنان" رجل وامرأة"، ولم يحتفظ إلا بمنزله، وهو ما يجعلنا نستشف حجم الخسائر الاقتصادية التي تعرضت لها المناطق الريفية جراء هذه الهجمات[٣٩].

وتضيف سيرة القديس فيلاريتوس الرحيم دليلا واضحا على التوازن الاقتصادي، حيث إنه بعد أن فقد كل ما يملك، قام بالاحتفاظ بما يكفي فقط لعائلته كي تظل على قيد الحياة وفى أدنى مستوٍ لها مما يعرف فى المجتمع البيزنطى "بالكفاية الذاتية"، إلا أنه وعلى الرغم من ذلك أعطى زوجين من الأوز لبعض الفلاحين الفقراء، وقد احتجت زوجته وأطفاله، قائلين له: "حتى بعدما أصبحنا فقراء، كان يمكننا أن نعيش بزوج الأوز وننقذ أنفسنا من الموت جوعا"[٤٠].

في حقيقة الأمر تُعد سيرة القديس فيلاريتوس مليئة بالتفاصيل الخلابة عن الحياة الريفية والحالة الاجتماعية والاقتصادية للفلاحين، ففي طيات السيرة نجد كيف كان فيلاريتوس يقود المحراث بنفسه مع الفلاحين على الرغم من

مكانته الإجتماعية العالية، كما كان يستمع دائمًا لشكاوى الفلاحين من ثقل الجزية وغيرها من الأمور المتعلقة بالنواحي الإدارية والمالية، ومن خلال هذه السيرة نستشف الإجراءات التي يتم اتباعها عند مواجهة الأزمات والمجاعات، ويوضح لنا كاتب السيرة كيف قام القديس فيلاريتوس الرحيم بمساعدة جيرانه، وإعالة أسرهم بعد تعرضهم للمجاعات، حيث يقوم بإرسال حمولة مكونة من ثلاثة بغال تحمل القمح بين أثقالها، ودائمًا ما كان يستقبل المبعوثين من أهل قريته أو القرى المجاورة لتقديم العون لهم، كما تمدنا هذه السيرة بالعديد من المعلومات عن أحوال الفلاحين الزراعيه وقوانين الزراعة وغيرها من الأمور المهمة في هذه الشأن(٤١).

وتروي لنا سيرة القديس "ثيوفانيس المعترف"، كيف كان يمتلك عقارات ضخمة وعددًا كبيرًا من العبيد في "بيثينا"، كما أشارت سيرة البطريرك تاراسيوس عن ممتلكاته الكبيرة علي مضيق البسفور ومعاملاته الحسنة مع الفلاحين والمحتاجين(٤٢)، ويؤكد كاتب سيرة القديس "نيكون St.Nikon"–القرن العاشر– إلى امتلاك الدير لبعض الماشية، التي كانت هدفًا لأهالي القرية المتضررين من الهجمات حول قراهم(٤٣).

وفي سيرة القديس "جوانيكيوس العظيم" "Joannicius the Great" (٧٥٢–٨٤٦م)(٤٤)، يروي لنا كاتب سيرته أنه كان يقود خنازير والده إلى المراعي، وكان يضع علامة الصليب على رأس كلٍ منهم، ويتركهم يتجولون حوله بشكل عشوائي دون أن يبتعدوا عن نظره، وكان رحيمًا مع الفقراء ويقدم لهم المساعدات الغذائية(٤٥). كما أشار كاتب سيرة القديسة ثيودورا من ثيسالونيكTheodora of Thessaloniki (٨١٢–٨٩٢م)(٤٦)، إلى أنها قامت بتوزيع ثلثي ممتلكاتها على الفقراء والمحتاجين، وما تبقي معها بالإضافة إلى ثلاثة عبيد أعطتهم إلى دير تيسالونيك(٤٧). والأمر نفسه فعله القديس سمعان الأحمق Lift of Symeon the Fool حيث قام بالتنازل عن ثروته لصالح الفقراء والمحتاجين (٤٨).

وتحكى لنا قصة حياة القديس لوقا المعمودي والمؤلفة عام ٩٨٦م، عن مجاعة كبيرة حدثت بالقرب من مدينة لامبي Lampe في الأناضول، وقد حددت السيرة المجاعة في الفترة (٩٢٥-٩٢٨م)، وتشير السيرة إلى أن القديس ساعد في التخفيف من معاناة سكان الريف من خلال توزيع كمية لا تُحصى من الحبوب بالإضافة إلى العلف الخاص لحيواناتهم، وقام بفتح المخزن الأرضي لوالديه لكي يريح الفقراء، وذلك بمشاركة كمية وصلت إلى حوالي (٤,٠٠٠ موديوس modioi[٤٩]) من الغلال أي ما يساوي (خمسين ألف كيلو جرام من الغلال)، وبشكل مؤكد، لا يجب أن نأخذ ذلك المثال المفرد على أنه حقيقة عامة، ولكنه يعطي فكرة عن قدر الخدمات التي يمكن أن يقدمها القديسون لأعضاء مجتمعاتهم. حيث ربما يصل معدل الاستهلاك السنوي لعائلة فلاحية متوسطة إلى حوالي (٨٠ موديوس) وربما يدل ذلك على أن مخزن غلال "والدي لوقا" كان قادرا على إطعام خمسين عائلة[٥٠].

وتعطينا سيرة القديس "كيرلس فيليتوس" Cyril Phileotes التي كتبها الراهب "نيكولاس كاتاسكيبينوس" Nicholas Kataskepenos - وهو راهب ورجل نبيل وعلى قدر عالٍ من الثقافة- عام ١١٢٠م معلومات عن حياة القديس كيرلس، وكيف كان من ملاك الأرض الزراعية، وكان منتميًا للطبقة الوسطى في المجتمع البيزنطي، وأنه قام بالتفاوض مع الإمبراطور إلكسيوس كومنينوس (١٠٨١-١١١٨م) حتى يحصل على إعفاء"إكسكوزاتيو" "excusatio ἐξκουσσεία"[٥١] - نوع من الإعفاء من الضريبية الإلزامية- لصالح ديره حتي يستطيع الدير القيام بواجبه الأخلاقي والاجتماعي تجاه المحتاجين، لكن فى هذه المرة رفض المسئولون الرسميون إعطائهم الإعفاء، ومنحهم الغلال[٥٢].

ولم تغفل سير القديسين الوضعية الاجتماعية والقانونية للأقنان، خاصة أنهم كانوا يقبعون في أسفل السُلم الاجتماعي، وكانت دائمًا ما تشير إلى أعدادهم الكبيرة، حيث يظهر في سيرة القديس "ثيوفانيس" الأقنان المحررون

بشهادات تثبت أحقيتهم في العيش حياة الأحرار، وكما سبق أن أشرنا في سيرة القديسة ثيودورا بأنها وهبت دير تسالونيك عددًا من العبيد بعد أن أعتقتهم(٥٣).

لقد كانت الكوارث الطبيعية والطاعون هي أكبر مصائب الفلاحين؛ لانها تجعل الفلاحين الفقراء أشد فقرًا، وتقدم لنا سيرة القديس "ثيودور من سيكيون" Saint Theodore of Sykeon أفضل مصدر لطبيعة هذه الكوارث وتاثيرها على الفلاحين، حيث كانت عواصف البرد الشديدة تتكرر على قرية "سيكورديس" في "غلاطيا" Skoudris in Galatia –وسط الأناضول– وتؤدي إلى حدوث فيضان للمياه، الأمر الذي يترتب عليه دفع التلال القريبة على القرية، مدمرة في طريقها المنازل والمحاصيل، وفى أحد السنوات سقطت الأمطار الكثيفة بغزارة، وكانت الفيضانات الناتجة مدمرة للغاية مما جعل نصف المنازل، والبهائم، والرجال، والنساء، والأطفال، والصغار، والرضع في مهدهم يتعرضون لخطر شديد، حيث كانوا يحملون بشكل عنيف مع تيار المياه في "نهر صقاريا" Sagaris River"، فلجأ الناجون إلى القديس ثيودور لطلب مساعدته، فأتى القديس إلى المدينة، وصلى للرب، وصلى الجميع، ومنذ ذلك اليوم توقف الفيضان، وتكرر الأمر في قرية "أبوكوميس" Apoukoumis حيث استمرت الفيضانات والعواصف الشتوية تأتي وقت الحصاد وتدمر المحاصيل، وتدخل القديس "ثيودور" مرة أخرى، وتم انقاذ الفلاحين من خسارة محتملة وواضحة لمحاصيلهم، وكتقدير لذلك، قام الفلاحون بتكريس تكريم لدير القديس ثيودور. كما كان المزارعون البيزنطيون مدركين للمخاطر التي تتعرض لها التربة بسبب الفياضانات؛ مما يؤثر على إنتاجية الأرض وخصوبة التربة في مزارعهم وأراضيهم؛ مما دفع أهل القرية للجوء إلى القديس ثيودور، الذي قام بفضل تدخله المبارك ووساطته بتحويل مجرى النهر، وإنقاذ أرض الفلاحين من تآكل التربة(٥٤).

وتُظهر سيرة "ثيودور سيكيون"، أنه تمت دعوته لإنقاذ بلدة "بيسينوس" من الجفاف الذي لحق بها، فقرر أن يقيم القداس المبارك بجمع أهالي القرية

ليصلون من أجل جلب المطر وهو ما تم بالفعل، واستمر هطوله لمدة ثلاثة أيام(٥٥).

وبين صفحات سيرة القديس "لوقا المعمودي"، تم التأكيد مرارًا على وجود فقراء الريف المتجولين، الذين أجبرتهم الظروف لهجرة أراضيهم الزراعية بسبب المجاعات والأوبئة واضطهاد أصحاب النفوذ، فاضطروا للتسول في الطرقات، حيث يفيد كاتب السيرة أنه كان يمتلك قطيعًا من الخنازير قام ببيعه، وخصص الأموال التي حصل عليها لهؤلاء المحتاجين الذين واجههم في طريقه(٥٦).

كذلك أخبرنا كاتب حياة القديس "يوحنا موسخوس" John Moschos، في القرن السابع الميلادي، عن رواية لها صلة براهب مسن، يُدعى الخصي "يوحنا" John the Eunuch الذي عاش في دير "عنتون" في الأسكندرية Ennaton in Alexandria، وفى أحد الأيام أتى فلاح إلى الراهب، وطلب منه أن يُعطيه عملة ذهبية؛ ونظرا لأن الراهب لا يملك أي مال خاص به، استعار عملة واحدة من خزانة الدير، وأعطاها للمزارع المحتاج، وقد وعده الأخير قائلا: "سوف أقوم بردها لك في غضون شهر"، ومر عامان، وظل الفلاح عاجزًا عن رد دينه، وفى النهاية استدعى يوحنا الفلاح وقال له: "أعطني العملة التي أخذتها مني، يا أخي" ، ثم عرض الراهب على الفلاح المحتاج أن يعمل لصالحه حتى يستطيع أن يسد دينه قائلا له: "عندما يكون لديك وقت، وليس معك عمل تقوم به، تعال وقم ببعض الأعمال داخل الدير، وأنا سوف أعطيك الدين الذي تحتاجه"، وكان عندما يأتي الفلاح المحتاج لكي يعمل للحصول على المال، يقوم الراهب الرحيم بإطعامه ثم يعطيه خمس بسكوتات جافة تسمى Paxamas ليأخذها معه إلى منزله، وعندما استطاع الفلاح أن يسدد دينه سلمه يوحنا الوعد المكتوب بالحرية، وقام بالسماح له بالخروج ومنحه بركاته. من خلال الرواية نستطيع أن نستشف أن الفلاح الفقير كان عليه أن يلجأ للدير لطلب المساعدة المالية، الأمر الذي يشير إلى الثراء المتزايد للدير، فضلا عن

الحاجة الشديدة للفلاح الفقير [٥٧].

وعلي الجانب الآخر تشير حياة القديس "ميخائيل مالدينوس" Saint Michel Maldinos، التي تعود إلى القرن التاسع الميلادي، على بقاء العديد من الفلاحين الفقراء الذين رفضوا أن يتركوا أرضهم، أو يتسولوا لقمة العيش رغم الأضرار التي لحقت بهم ، حيث يقول كاتب السيرة أنه أثناء تجواله على جبل كيمينا Kymina حصل علي بعض الكمثري من فلاح فقير من المزارعين المجاورين، الذي كان مفلسًا للغاية، لكنه ظل على ولائه لأرضه وفي خدمتها[٥٨].

وتخبرنا سير القديسين أنه في وقت الحصاد، ربما يسافر الفلاحون عدة أميال لكي يعملوا في الحقول، ونقرأ في سيرة يوحنا الإفسوسي أن "سيمون" و"سيرجيوس" Symeon و Sergios من أهل "آمد" Amida كانا يذهبا كعادتهما إلى الريف الجنوبي وقت الحصاد[٥٩].

وتمدنا سير القديسين بمعلومات عن القهر الاجتماعي الذي كان يتعرض له صغار الفلاحين، وكيف كان يتم الضغط عليهم واضطهادهم بواسطة ملاك الأراضي الذين يمكن تمثيلهم بواسطة الكنيسة نفسها أو المسئول البيزنطي [٦٠].

وعلى الرغم من أن ملاك الأراضي كانوا يدفعون للفلاحين الذين يؤجرونهم أجرة مقابل عملهم، إلا أن تلك الأعمال كانت في بعض الأحيان صعبة وشاقة على كل من يقوم بها، ويروي أحد الفلاحين العاملين في إحدى المزارع قائلًا: " كنت أعمل في ملكية رجل ثري وغير عادل لمدة خمسة عشرة عاما ليل نهار دون راحة، لم أكن أتناول الطعام قبل غروب الشمس ،حتى أنه لم يكن يتحمل أن يعطيني راتبًا جراء عملي الشاق ، وفي كل عام يُسئ معاملتي، كما تعود على ذلك بشكل واضح"[٦١].

كما عمل الرهبان مقابل الحصول على أجرة مثل العمال الكادحين. حيث يخبرنا يوحنا أيضًا عن قصة "داود" David وهو راهب من مجتمع

"السكيتي" Skete[٦٢] انخرط في خدمة واحد من ملاك الأراضي، وفى أحد الأيام شديدة الحرارة أصبح من الصعب جدا مواصلة العمل بعد منتصف اليوم، حيث كانت حبوب القمح تتساقط من أمتعتهم حيث كان من الأفضل الانتظار حتى انتهاء الحرارة الحارقة لتحقيق أقل الخسائر الممكنة، فأراد الراهب العجوز أن يذهب إلى الراحة، ولكن مالك الأرض احتج ورد قائلا له: "انهض، واعمل حتى لو احترق كل العاملين من شدة الحرارة" ولذلك استمر العمال في عملهم ولم تنته حرارة الشمس الحارقة"[٦٣].

وتبرز لنا سير القديسين كيف كانت الكنيسة البيزنطية مالكة بشكل كبير للأراضي، وبالتالي لم تكن العلاقة بين الفلاحين والكنيسة أفضل –في الغالب– من تلك العلاقة التي كانت بين المسئولين البيزنطيين والفلاحين، حيث كانت القرى التي تمتلكها الكنيسة مصدرا رئيسيا للدخل، ولكن المشكلات المتضمنة في إدارتها المالية كانت سببًا كبيرًا ورئيسًا للإضطرابات وعدم الاستقرار في هذا المجتمع القروي [٦٤] .

وعندما أصبح القديس ثيودور أسقفا لدير "أنستاسيابوليس" Anastasioupolis، لم يأتمن – أمين الصندوق الكنسي للكنيسة على جمع الضرائب، وقام باستئجار شخص – وهو حارس إمبراطوري شرفي– لإدارة ممتلكات الكنيسة وحكمها، واستخدم هذا الشخص الذي كان يدعى "ثيودسيوس" لكي يضخم ثروته، ويزيدها لمصلحته الشخصية، وكان جشعا في مطالبته بدفع الضرائب؛ مما دفع المزارعين المخدوعين والمتحايل عليهم أن يذهبوا إلى القديس ثيودور، وهم باكون يرجون عونه ومساعدته[٦٥].

كذلك تخبرنا حياة القديس نيكون عن ظاهرة كانت منتشرة عانى منها الفلاحون كثيراً، وهي "قطاع الطرق" الذين كانوا ينهبون الريف وخيراته، ويختطفون الأحرار[٦٦]. كما تمدنا سير القديسين ببعض الأمراض الاجتماعية التي كانت منتشرة بين الفلاحين مثل السرقة، حيث يشير كاتب سيرة القديس "لازاروس من جبل جلاسيون" Lazaros of Mount Galesion (٩٦٦/٧–

١٠٥٣م) أن القديس لازاروس عانى كثيرًا من قيام بعض الفلاحين بسرقة الفول من حقول الدير؛ مما يُحدث عجزًا أثناء قدوم الفقراء والمحتاجين إلى الدير للتزود بالطعام(٦٧).

كذلك تُعد سير حياة القديسين مصدرًا مهمًا لدراسة الثروة الحيوانية في المجتمع البيزنطي، حيث امتلك معظم الفلاحين البيزنطيين حيوانات، وفي كثير من الأحيان كانوا يمتلكون عددًا من الأغنام أو الماعز، ومع ذلك ، فإن تربية الفلاحين للحيوانات كانت موثقة بشكل سيء نسبيًا، خاصة من خلال الوثائق الأرشيفية المحفوظة التي يمكننا الحصول عليها من خلال كتابات سير القديسين(٦٨)، حيث تشير سيرة القديس بولس من لاتروس St. Paul of Latros ، إلى عبارة تنص على قيام الفلاحين في بعض الأحيان بترك قراهم والمعيشة مع الحيوانات طوال موسم الرعي كالكلاب والحمير والخنازير والقطط والثيران والنعاج وغيرها من الحيوانات التي كان الفلاح البيزنطي يستخدمها في أعماله الزراعية (٦٩).

وكانت تستخدم الحيوانات في وسائل المواصلات، وهذا ما أكدته لنا هذه المادة المصدرية، حيث تشير سيرة القديس جورج من ليسبوس George of Lesbos إلى رواية تؤكد أن هناك رجلًا كان ينتمي لأحد الطبقات الأرستقراطية في المجتمع البيزنطي، وكانت تربطه علاقة صداقة بالآباء المباركين، أصيب بمرض خطير، وعندما أحس بدنو أجله، أرسل في طلب القديس جورج، وطلب منه ألا يتأخر عن الحضور إلى زيارته. لذلك اضطر القديس جورج إلى أن يركب الحمار، رغم أنه طيلة حياته لم يستخدم وسيلة للتنقل غير قدميه (٧٠)، كذلك اعتمدوا على استخدامها في رفع الأحمال وتسلق الجبال العالية، وهو ما أشار إليه كاتب سيرة القديس لازاروس من جلاسيون(٧١)، الذي ذكر وجود الماعز بشكل متكرر حول الجبل المحيط بهم(٧٢).

الشيء اللافت للانتباه في سير القديسين أن الخيول لم يتم ذكرها كثيرًا فى كتابات سير القديسين، على الرغم من امتلاك الفلاحين لها، ودائمًا ما كان

يتم ذكرها في سياق الدور العسكري لهذه الخيول، من ذلك أن القديس "فيلاريتوس الرحيم" أعطى حصانه لموسيليوس Mousèlios، وهو جندي فقير حتى يتمكن من خلاله الالتحاق بالجيش(٧٣)، علاوة على ذلك، فإن القديس "يوانيكيوس" Iôannikios وهو جزء من فرقة Excubitors الأكسكوبيترس (٧٤) اشتهر بأنه أنقذ حياة الإمبراطور قسطنطين السادس عام (٧٩٦م)، فتمت مكافأته بحصان يستخدمه عندما يغادر الخدمة(٧٥).

كما كان للثور أهمية خاصة لدى الفلاح البيزنطي، ففي سيرة فيلاريتوس التي سبق أن عرضناها، فبعد أن تبدل بهم الحال، رفضت عائلة القديس فيلاريتوس التنازل عن الثيران التي كانت لديهم، حتى تساعدهم في معيشتهم (٧٦). ويعتبر امتلاك زوج من الثيران علامة اجتماعية حقيقية في القرية، فأولئك الذين يملكون اثنين ينتمون إلى نخبة القرية، حيث تستخدم الثيران للحرث، والدرس، ولربطها بعربة نقل البضائع لجرها، ونادرا ما يتم توثيق وجود الأبقار المخصصة للتكاثر وإنتاج الحليب، وغالبًا ما يشير المصطلح الذي نترجمه إلى الثيران إلى الماشية بشكل عام، وكانت هناك صعوبة كبيرة فى إطعامهما حيث كان في كل صباح يعهد أصحاب الحيوانات ماشيتهم إلى راعي القرية الذي كان يتقاضى راتباً ليتم أخذها في المساء، ومع ذلك يبدو أن بعض الحيوانات كانت لا ترتبط بشكل منهجي بالقطيع الجماعي، أما الراعي فهو عامل، ويبقى مسؤولاً أمام مالك كل حيوان، لكننا لا نعرف ما إذا كان المجتمع هو الذي كان يقوم بدفع الراتب له أم أن كل مزارع يعطيه أجره حسب عدد الحيوانات التي يحتفظ بها(٧٧)، وقد يحدث أن يتحد العديد من الفلاحين ليوكلوا رعاية هذه الحيوانات إلى أطفالهم(٧٨).

بالإضافة للحيوانات البرية المتوحشة التي كانت منتشرة في ذلك الوقت، وهو ما يعطينا معلومات مهمة عن المخاطر التي كان يتعرض لها الفلاحون ومجتمع القرية من مهاجمة هذه الحيوانات لحقولهم ومزارعهم؛ مما يعرض حياتهم وإنتاجهم للخطر، حيث تمدنا سيرة القديس "فانتينوس الأصغر"

Life of Phantinos the Younger رواية حول هجوم الدببة على حقول البيزنطيين وكيف تم التعامل معها، حيث تروى القصة طريقة التعامل مع دب يأكل العسل من خلايا الرهبان البيزنطية في كالابريا، حيث حمل الرهبان السلاح لقتله، فتحدث القديس "فانتينوس" مرة أخرى مع الحيوانات، وحذر الدب من القدر الذي كان ينتظره، وأقنعه بعدم الظهور في المنطقة مرة أخرى، فتحرك الدب، ولم يُر هناك مرة أخرى(٧٩).

كما أمدتنا سير القديسين بأهم المزروعات والمنتجات التي تميز بها الفلاح البيزنطي، مثل: كروم العنب، والبساتين، مع وجود أنواع عديدة من أشجار الفواكه، مثل: فاكهة الكمثري، حيث جاء في سيرة حياة القديس "فانتينوس الأصغر" أن القديس هدأ وأبعد الخنازير البرية الجائعة التي أحاطت به بشكل خطير، بعد أن صادفها في الغابة خلال فصل الشتاء القاسي، وهو يأكل الكمثرى البرية(٨٠)، وكذلك أشجار البلوط التي كانت منتشرة آنذاك، حيث يخبرنا كاتب سيرة القديس لازاروس من جلاسيون عن هذه الأشجار في سياق حديثه عن بعض المغريات التي كان يقوم بها الشيطان ضد شخص من العامة، بعد أن كان نائمًا تحت شجر البلوط(٨١).

جاء ذكر صناعة "العسل" أيضًا في العديد من سير القديسين، ونخص بالذكر هنا رواية من سيرة القديس لازاروس حيث خرج بعضهم إلى "لازاروس"، من القرية الواقعة بالقرب من الجبل، وطلبوا مباركته للذهاب إلى الجزء المنحدر من الجبل لجمع أقراص العسل، لكن الأب طلب من الإخوة إحضار بعض العسل، وعندما جاءوا به قال لهم ، "إذا كان العسل الذي تريدونه، انظروا ، ها هو العسل! تناولوا الطعام بقدر ما تريدون، ثم عودوا إلى منزلكم، لكن لا تذهبوا إلى الجرف هناك لئلا تعودوا بحصاد مرارة بدلاً من حلاوة العسل"، فرد أحدهم على الأب قائلًا: "لقد جمعت كثيرًا من أقراص العسل هذه ولم يحدث لي شيء سيء، لذلك أنا لست قلقًا بشأن الذهاب إلى الجرف الآن، لكن الأب أجابه: "صدقني يا أخي ، هذه المرة لن يفيدك الذهاب إلى هناك"، وكان "لازاروس"

غير قادر على منعهم على الرغم نصحه لهم بشكلٍ متكرر، فتركهم يذهبون ويفعلون ما يريدون، فذهبوا وبعد أن ربطوا حبلًا بالرجل الذي أخبر الأب بأنه خبير في جمع العسل، بدأوا في إنزاله نحو الكهف، وقبل أن يصل إليه، قطع الحبل كما لو كان بيد بشرية؛ مما تسبب في دفع الرجل البائس إلى أسفل الجرف، وانتهى به الحال محطماً على الصخور، فنزل الآخرون وحملوه وسط بكاء ونحيب شديد، وذهبوا به إلى القرية لدفنه، وأخبروا الجميع عن تنبؤات الأب، والكلمات التي قالها لهم في محاولة لمنعهم من الذهاب (٨٢).

الحرف والصناعات:

لم تغفل سير القديسين الحديث عن بعض الحرف والصناعات التي كانت منتشرة في المجتمع البيزنطي خلال الفترة موضوع الدراسة، ونبدأ بسيرة القديس "أثناسيوس الأثونيني" (٩٢٠-١٠٠٣م)Athanasius the Athonite(٨٣)، مؤسس دير لافر الكبير The Great Lavra خلال القرن العاشر الميلادي، تلك السيرة التي حملت بين طياتها اهتمامًا كبيرًا بالجوانب الإقتصادية، حيث ذكرت السيرة جنوح القديس أثناسيوس نحو ادخار الماء الذي كان يأتي من أماكن بعيدة لاحتياجات الدير، وكان يتم نقل الماء من هذه المسافات البعيدة عبر أنابيب" مواسير"، وكانت تنقل من مسافة قدرها حوالي (١٢ كيلومترًا)، وبعد ذلك يتم صبها فى بئر يُغطى بساقيتي مياه، وهي معلومة مهمة للغاية توضح وجود أنابيب لضخ المياه عبر مسافات كبيرة؛ مما يدفع الباحثين المهتمين بالتاريخ الاقتصادي، لاسيما صناعة تلك الأنابيب، وطرائق تصنيعها والمواد الخام التي استُخدمت فيها، وبالتالي نستطيع أن نقول أن هذه السير احتوت على معلومات تفصيلية قلما نجدها في أية وثائق أرشيفية أخرى(٨٤).

وفضلا عن أن تلك الوثائق، تُعطى سير القديسين معلومات تفصيلية عن السفن التجارية التي كان دير لافرا يمتلكها، إلا أنها لم تذكر الميناء الذي كانت السفن ترسوا إليه، إلا أن سيرة القديس أثناسيوس أشارت إلى أنه كان يمتلك مبنى للميناء، حيث إن ساحل البحر المجاور والقريب للغاية من الدير

كان مليئاً بالسفن لدرجة عدم وجود مكان لسفن أخرى ترسو فيه. ولذلك فإن هذا الرجل السخي والمضياف من خلال امتلاكه لمبنى الميناء كان يهدف إلى ضمان إمدادات الدير، وأن يعتني بالأجانب الذين يقومون بالدفع نظير الزيارات المتكررة له"(٨٥).

وتخبرنا سيرة القديس "ثيودور من سيكون" أنه قام بإحضار **النجارين** إلى ديره لتشييد صندوق"خزانة" خشبية حتى يمكنهم تخزين القمح والحبوب فيها من أجل استخدامات الدير، وقد أعطى القديس أوامره للحرفيين بألا يمسوا أية قطعة من اللحم أو يأكلوها حتى يتموا إنجاز أعمالهم وبعد أن يعودوا إلى القرية، وكان وقتها يتم تناول اللحم فقط في ثلاث مناسبات سنويًا، وهي أيام الاحتفالات بالقديسين، التي يتم فيها استضافة حشود كبيرة من الناس ضيوفًا بالدير وإطعامهم، ولكن حدث أن قام كبير الحرفيين أو المهندس -كما كان يقال عنه وقتها- بمخالفة أوامر القديس، وقام بإحضار اللحم إلى الدير سرًا ، وعند تناوله شعر بالاعياء فجأة، وأصيب بحمى قاتلة، وفي تلك الأثناء كان القديس متغيبًا عن الدير في رحلة عمل، وعند عودته عرف بما حدث، وقام بإخبار الرجل قائلا له: "صدقني يا أخي، لم يكن الأمر مجرد بخل مني ألا أسمح لكم بتناول اللحم كما ظننت، ولكن قمت بتحريم أكل اللحم للحفاظ على طهارة هذا المكان وقداسته"، وتم علاج كبير الحرفيين وشُفي من المرض فى وقتها، وقام بإنهاء أعماله، ومن ثم كان توظيف الحرفيين بواسطة رئيس الدير وحزمه معهم، حتى يتم الالتزام باللوائح والقواعد الخاصة بالمجتمع الديري المحافظ (٨٦).

ونظرًا لأن بناء الصوامع والكنائس للقديسين البيزنطيين بمثابة مظاهر مادية لقداستهم، فمن الطبيعي أن تحوي سير حياتهم العديد من المعلومات المتعلقة بمهنة **البناء** خاصة مع سعيهم الدائم لبنائها أو إصلاح ما تهدم منها(٨٧)، وهنا تخبرنا سيرة القديس جوانيسيوس العظيم أنه قام بالصعود إلى جبل ألسوس، وقام ببناء كنيسة تخليدًا لذكرى أحد الشهداء العسكريين، وكان

يُدعى أستاسيوس، وأنه قام بنفسه بتصميم البناء، وطلب من القائمين على عملية البناء أن يعملوا بعناية وفقًا للتصميم الذي وضعه[٨٨].

وتمدنا سيرة القديس "ثيودور من سيكون" بمعلومات عن الجير المطفي و الجص المستخدم في الطلاء الواقي أو لزخرفة الجدران وغيرها من مواد البناء التي كانوا يستخدمونها خلال تلك الفترة، حيث تُشير السيرة أن الجير غير الحى كان يحُرق، وقد عرض الفلاحون بنقل المادة الخام القابلة للاحتراق والثقيلة الوزن إلى الدير، حيث تم تشييد كثير من المباني الملحقة بالدير، ولكن عندما ظهرت لهم سحابة ممطرة، تيقن الفلاحون بأن المطر ربما يسقط على الجير؛ مما يسبب تدميرًا للعربات الناقلة والبهائم التي تجرها[٨٩]

كما تذكر سيرة القديس جورج خوزيبا[٩٠] **(ت٦٢٥)** George of Choziba أنه كان يتم تأجير فلاحين يعملون بالبغال لحمل الرخام، الذي كان يحُرق ويُصب في أوعية حتى يبرد[٩١]. كما أشار كاتب سيرة القديس "لازاروس"، إلى أن القديس لازاروس قام بترميم البئر الذي كان بجوار الكنيسة بعد أن تعرض للهدم، واستعان بعمال البناء من أجل مساعدته في بناء صوامع مخصصة لزواره مراعاة لراحتهم واحتياجاتهم[٩٢].

وتشير معجزات البطريرك صفرونيوس The Patrairch Sophronius **(٦٣٤- ٦٣٨م)**[٩٣] على قصة علاج شخص يدعى تورينوس Taurinos كان يمارس صناعة الإبر[٩٤].

ومن الصناعات التي كانت منتشرة في الإمبراطورية البيزنطية صناعة **زيت الزيتون**، وهنا نلاحظ أن دير القديس لازاروس قد تمرس في صناعة زيت الزيتون، حيث أن هناك رواية مفادها أن راهبة من جزيرة خيوس اعتادت السفر إلى دير لازاروس للحصول على جرة من زيت الزيتون التي كانت تُصنع فيه، ويوزع في يوم سمي بيوم لازاروس[٩٥].

ومازلنا في قرائتنا في سيرة القديس "ثيودور من سيكون"، حيث تُشير السيرة إلى مهنة أخرى كان يجيدها البيزنطيون، ألا وهي مهنة **النحت**، حيث

يروي كاتب السيرة ، أنه بينما كان القديس ثيودور يقيم في الدير الروماني للقديس أسطفانوس St. Stephanos في القسطنطينية، عبر بعض الرهبان عن رغبتهم في الحصول على رسوماته وتصويراته لوضعها داخل الدير، على أن تكون تذكارًا دائمًا مباركًا ومقدسًا لهم، فقاموا باستدعاء فنان يجيد النحت دون علم القديس، وسمحوا له بأن يلاحظ القديس المبارك من خلال نافذة خفية، وقام هذا الفنان بنحت تمثال للقديس، وبينما كان القديس ثيودور على وشك مغادرة الدير، أظهروا له هذا التمثال، وطلبوا منه أن يباركه، فابتسم القديس ثيودور، وبشكل متواضع وراضٍ، قام بمباركته قبل أن يغادر الدير[٩٦].

وفي سيرة البطريرك نيقفورس(٧٥٨-٨٢٨م) Nikephoros I of Constantinople، كان هناك حضور قوي للفنانين الذين يقومون بأعمال فنية مختلفة مثل رسم الأسود التي تتوهج بشكل مخيف، أو الخنازير البرية ذات الشعر الخشن، أو الخيول التي تتسابق، والتي كانت من كثرة دقتها وروعتها تمكننا من سماع صوت الحيوان المصور، وكان يتم وضعها في المنازل أو في بعض الأماكن المخصصة لها في الأسواق، بالإضافة إلى قيام بعض الفنانين بتطريز الملابس بالأشكال والرسومات المختلفة[٩٧].

وتعطينا سيرة حياة ثيودور من سيكون معلومات أيضًا عن حرفة **الحدادة،** حيث تشير الرواية المصدرية أن القديس "ثيودور" طلب حدادًا ليقوم بعمل قفص حديدي ضيق، يمكن له أن يقضي فيه مواسم الصوم واقفًا، ولكي يقوم بإكمال هذا العمل أجبر القرويين أن يهبوا أدواتهم الزراعية حتى يستطيع إكماله، وبالإضافة إلى هذا القفص الذي صُنع من الحديد ليتم تعليقه في الهواء فوق خلوة القديس نفسه، إلا أنه أمر بعمل حلقات من الحديد لكل من قدميه ويديه بحيث يكون وزنهما ثلاثين رطلا، ويتم تعليق صليب يتم ارتداؤه حول الرقبة ويزن ثمانية عشر رطلا، كما يتم ارتداء حزام حديدي يزن ثلاثة وثلاثين رطلا حول خاصره، وتم تشكيل صولجان حديدي بصليب في القمة، بالإضافة إلى إكليل يوضع فوق الشعر يزن خمسين رطلًا يتم ارتداؤها فوق ردائه

الكهنوتي فوق شعره، وبدون أن نضع في الحسبان، الصولجان والقفص، فقد حمل القديس فى جسده فقط كمية بلغت (مائة وواحدًا وثلاثين رطلًا من الحديد)، ولم يكن للحداد القروي تلك الكمية الكبيرة من الحديد. ولذلك كان على القرويين أن يضحوا بمعداتهم الزراعية لكي يسدوا هذا العجز في الحديد(٩٨).

كما توجد معلومات مهمة تتعلق بحرفة الحدادة في العمل السردي لمعجزات القديس أرتيميوس، ذلك العمل الذي يرجع إلى القرن السابع، حيث أشار إلى وجود دكان للحدادة يقع بالقرب من المنحدر الجبلي الهابط إلى القرن الذهبي، كما أخبرنا القديس بكثير عن عمله بهذه الحرفة، فيقول : "منذ طفولتي، وأنا أعمل جاهدا في تلك الحرفة المضنية الصعبة"، ولأنه كان يعمل بتلك الحرفة منذ الطفولة، فمن المرجح أنه ورث وتعلم تلك الصنعة من أبيه، وبالتالي تظهر هنا نقطة من نقاط ضعف هذا النظام، وهي وراثة الابن لعمل الوالد وحرفته، وهذا القديس اعتبر أن عمله بالحدادة عمل صعب ومضنٍ، كما أنه لا يبدو أنه حداد خبير؛ لأنه أُحبط بسبب مروره بأوقات صعبة للغاية أثناء ممارسته لتلك الصنعة، كما يجعلنا هذا العمل نتطرق إلى أعمال الدكاكين: حيث المحرقة الملهبة وصوت الغليان، ووقوف الحداد أمامها، وطرقه بالشاكوش على الحديد الساخن الخارج من المحرقة، ويضيف كاتب سيرة القديس أن الصقليين كانوا معروفين بأمزجتهم الساخنة، وتفضيلهم لهذه الحرفة دون غيرها(٩٩).

ومن بين المهن التي كانت منتشرة في المجتمع البيزنطي، وأخبرتنا بها سير القديسين "**مهنة الخدم**"، حيث تشير سيرة القديس "باسيل الأصغر" Basil the Younger، –القرن العاشر الميلادي– إلي شخصية رئيسة في السيرة، وهي سيدة تُدعي ثيودورا، كانت تعمل في خدمة أحد الأثرياء الذي كان يسمى بريميكاريوس، لكنها انتقلت بعد ذلك للعمل في خدمة القديس(١٠٠).

واحتوت سيرة القديس "ثيودور من سيكون" على معلومات مهمة عن مهنة "**الطبخ**"، حيث تسرد لنا السيرة أن عمته وجدته استعانتا بطباخ ماهر

يسمى إسطفانوس، كان متمكناً من فنون الطبخ، حيث جذبت شهرة أطباقه المُعدة بشكل ماهر الحكام والمسئولين، وكان غالبًا ما يحصل على أجر زائد من العملاء الراضيين عن أطباقه الرائعة بجانب أجره الأساسي، وكان يقوم بالتبرع بها، ووهبها للكنائس والأديرة، ولذلك نستشف من هذه المعلومات المهمة أن الطباخ الماهر الذي يقع دكانه على طريق وإن كان بعيدًا، يتم التردد عليه كثيرا، وكان يُكافأ ماليا بشكل واضح[١٠١].

وتمدنا سيرة القديس يوحنا المعطاء St John the Almsgiver (ت٦٢٠م)، بأنواع الأطعمة التي كان الطباخون مشهورين بها، وكان يتم إعدادها وتقديمها للقديس، مثل : الخضروات، والخبز، والحساء، والخمر، والزيت، والأسماك كبيرة الحجم، بالإضافة إلى الإشارة إلى أوعية من أفضل أنواع العسل الذى جاء من أفريقيا إلى الإسكندرية، وفي محاولة من البطريرك للتخفيف من معاناة الناجين الباقين من سقوط بيت المقدس فى يد الفرس ويأسهم، قام بإرسال عدد ألف كيس من الحبوب والغلال، كما أنه قام بإرسال ألف برميل خشبي من السمك المجفف ، وألف جرة من الخمر [١٠٢].

كما تمدنا سيرة القديس لازاروس من جبل جلاسيون، عن نظام الحمية الغذائية التى كان يتبعها القديس، حيث تشير أنه أثناء وجوده في الأرض المقدسة امتنع عن شرب الخمر وتناول الخبز والزيت، وكان يعتمد على تناول البقوليات فقط التي كانت إما مسلوقة في الزيت أو غارقة في الماء، وكان يتناول المشروبات التي كانت أحيانًا ساخنة ومحلاة مع عصير الفاكهة أو العسل، وهنا نلاحظ ذكر كلٍ من الخبز والخمر في كل إشارة تتعلق بالطعام، حيث لا يمكن لأية وجبة أن تكتمل من دونهما [١٠٣].

كما أخبرتنا معجزات القديس أرتيميوس عن مهنة أخرى وهي مهنة "**صانعي الشمع**"، التي كانت منتشرة آنذاك في المجتمع البيزنطي، وكانت ذات أهمية كبيرة من الناحية الدينية، حيث ذكرت السيرة أنه كان هناك شماسًا من كنيسة أيا صوفيا، يُدعى إسطفانوسStephanos (٦٣٠-٦٥٩) قام بالتوقف

عند دكان أحد صانعي الشمع – والذي كان يقع بالقرب من كنيسة يوحنا المعمدان– أثناء ذهابه للتعبد عند مقبرة القديس أرتيميوس. وذلك لكي يشتري منه شمعًا من أجل أداء بعض الطقوس الدينية، ولكن صانع الشمع أعطاه بعض الشمع، واعتذر عن إعطائه باقي الكمية المطلوبة، بسبب عدم وجود قدر كافٍ من الشمع لديه ، حيث لم يتبق معه سوى شمعتين فقط لن يستطع بيعهما، لأنه أخذ ثمنهما من شخص آخر (١٠٤).

وتُستكمل الرواية أنه وبينما كان الشماس يسير فى الطريق انزلق وسقط وتكسرت شمعاته كما سقط المال الذي كان يحمله، وذلك بسبب هطول الأمطار وامتلاء الشوارع بالطمي والطين، فغضب غضبًا شديدًا وبصق على إبليس بسبب ذلك الحظ العاثر، وقام بالتقاط أمواله وعاد مرة أخرى إلى صانع الشمع، وأعطاه القطع المكسورة من الشمع والمزيد من المال لإعطائه شمعًا آخر، وفى تلك المرة وافق صانع الشمع على طلب الشماس، وأعطاه الشمع بعد أن توفر لديه، ونتعلم من هذه الرواية أنه بالقرب من كنيسة يوحنا المعمدان كان يبيع صناع الشمع بضاعتهم، وكان يتم الدفع مقدما لضمان الحصول عليها، وهو ما يُفسر لنا طريقة تعامل التجار مع زبائنهم(١٠٥)، كذلك عمل البيزنطيون على إستبدال مصابيح زيت الزيتون القديمة بالشموع وعليه ازدادت مطالب البيزنطيين على الشموع وطالبوا صانيعها بإنتاج كميات كبيرة منها(١٠٦).

وفي سير القديسين نقرأ أيضًا عن وجود مجموعة من الرجال والنساء الأتقياء الذين كانوا مختصين بأداء بعض الخدمات الدينية المتعلقة بالصلاة أو المساعدة في أوقات المرض أو في دفن الموتى وإحياء ذكراهم، وهؤلاء أطلق عليهم اسم" الإخوة"، وكانوا ينتمون إلى الطبقة المتوسطة، ويظهرون كمارة بلا أسماء أو كجزء ضمن حشود مجهولة في روايات المؤرخين البيزنطيين، لكنهم يظهرون بشكل واضح في كتابات سير القديسين، حيث يتم التعرف عليهم من خلال حالات العلاج للمرضي أثناء ترددهم على القديسين بحثًا عن الشفاء(١٠٧).

ومن خلال نص موجود في سيرة القديس يوحنا المعطاء، تمكنا من معرفة مهنة أخرى كانت توجد في المجتمع البيزنطي، وهي مهنة "**الحنوتي**" حيث تروي السيرة أنه عند تتويج الإمبراطور كان يحضر كل ممثلى الدولة وكبار رجال الجيش، وكان أول من يُسمح له بالدخول إلى الإمبراطور هم أعضاء نقابة بناء المقابر الإمبراطورية، وكانوا يحملون في أيديهم أربع قطع من الرخام أو خمسة مختلفة الألوان، ويقتربون من العرش سائلين الإمبراطور: أي معدن تفضل أن يتم به بناء مقربة عظمتكم؟ ، وكان الغرض الوعظي وراء ذلك إخبار الإمبراطور بأنه سوف يفنى، وعليه حكم الإمبراطورية بشكل تقي وورع وعادل(١٠٨).

التجارة

تعد الحياة التجارية في المجتمع البيزنطي من أبرز النقاط الرئيسة التي اهتمت بها سير القديسين، حيث أولوا اهتمامًا واضحًا بالتجارة والتجار، خاصة أن عددًا ليس بالقليل منهم كانوا تجارًا أو كانوا على علاقة مباشرة مع التجار من خلال إجراء التعاملات معهم، أو عن طريق قدوم الأخيرين إليهم للتبرك وقضاء الحاجات، أو حدوث معجزات كان لها أثرها في إثراء تجارتهم ومضاعفة أرباحها، وإنقاذهم من خسائر فادحة، وهذا ما سوف نحاول أن نبرزه من خلال بعض الملاحظات على الروايات في حياة سير القديسين.

أمدتنا سيرة البطريرك نيقفورس في القرن التاسع الميلادي، بمعلومات حول قيامه بوضع ميثاقٍ للتجار الذين يسعون إلى إثراء تجارتهم بأرباح طائلة، حيث جاء في السيرة: "علي تجار التجزئة والذين يبيعون ويشترون بربح عبثي، نطلب منهم ما يلي: أن يكونوا رحماء مع البسطاء، مع مراعاة عدم المغالاة في بيع النبيذ، والحيوانات، وزيت الزيتون، خاصة أن المتربحين بإفراط سيلقون عقوبة المرابين أنفسهم، مع تحديد قيمة الربح على عشرة في المائة فحسب"(١٠٩).

ولعل ما دفع البطريرك لإصدار هذا الميثاق، هو ملاحظته وجود جشع

لدى التجار فيما يخص مسألة الأرباح على تجارتهم؛ مما يضر المجتمع ككل، وقام القديسيون بالنظر لهذه الزيادة على أنها زيادة غير مشروعة، ومن ثم تصبح هذه الأموال محرمة، ونلاحظ في سير القديسين البيزنطيين وجود ما يسمى بالأموال المحرمة، حيث إن مصادر سير القديسين تُشير إلي أن هناك بعض الأموال غير المشروعة التي لا يجوز المساس بها، وهي تلك التي يتم الحصول عليها من اضطهاد الفقراء، أو التي استولى أصحابها على ممتلكات جيرانهم، فعلي سبيل المثال رفض القديس جريجوري ديكابوليتيس Gregory the Decapolite قبول بعض الصدقات، لأن الأموال جاءت من جابي الضرائب الذي صادر للخزينة العامة ممتلكات أولئك الذين يموتون دون وصية ومن دون ورثة مباشرين(١١٠)، أما فيما يتعلق بالتجار، فأرباح تجارتهم المعقولة لا ضرار فيها وشرعية، لسببين: أولاً، بسبب المخاطر التي يتعرض لها التجار، وثانياً: بسبب تصور عمل التجار على أنه عمالة حقيقية، وبالتالي تستحق المكافأة مثل عمل أي شخص آخر(١١١) .

وهناك رواية تتحدث عن شرعية النشاط التجاري نفسه وتبرير أرباحه، حيث تشير إحدى الروايات التي ترجع إلى أواخر القرن التاسع الميلادي إلى أن هناك فلاحًا كان يسمى "ميتريوس"Metrerios"، وكان ذاهبًا لبيع محصوله السنوي، فوجد محفظة مليئة بالذهب بها حوالي ١٥٠٠ قطعة ذهبية فلم يتعمد أخذها، وفي العام التالي، ذهب الرجل مرة أخرى إلى بيع محصوله، والتقى بأحد الرجال يبكي، فسأله ما الأمر؟ فأجابه الرجل أنه كان تاجرًا ناجحًا، لكنه ذهب العام الماضى ذات يوم إلى التجارة أو السوق برأسماله ورأس مال غيره ولكنه فقدهما وتحول إلى الفقر المدقع، فأعاد ميتريوس المال إلى صاحبه، وكان الجميع سعداء(١١٢)، توضح لنا القصة أن ملكية التاجر التي تضمنت أرباح العام السابق تعد شرعية ولا تعد أموالًا محرمة، بل يستحق التاجر مكافأة على صدقه وأمانته.

وقد سعي القديسون علي مساعدة التجار علي تعلم أصول التجارة

والأخلاق الحميدة، والبعد عن الجشع، وطرائق الكسب غير المشروع، حيث لاحظ القديس "ثيوفلاكت النيقوميدي" أن الآباء يشجعون أبناءهم على أن يصبحوا تجارًا، ورأى القديس أن الوضع لا يطاق بالنسبة له عندما رأى الشباب يسعون لإثراء أنفسهم بشتى الطرائق من دون حكمة أو تعلم، فحاول إقناع آباءهم على ضرورة إرسالهم إلى المدرسة من أجل الحفاظ على إيمانهم المسيحي، لكن الآباء تحججوا بأنهم فقراء، ولا يستطيعون تحمل نفقات التعليم ، فقرر القديس افتتاح المدارس، وقام بدفع المرتبات للمعلمين من أمواله الخاصة، حتي يتمكن الجميع من الحضور والتعلم لتحسين لغتهم والتعود على اليونانية الصحيحة، وحتى يتم وضعهم على الطريق القويم(١١٣).

ونجد في كتابات المؤرخ ميخائيل بسللوس - Michael Psellos (١٠١٨-١٠٨١م)(١١٤)، الذي كتب حياة القديس "أوكسنتيوسAuxentios" ومعجزاته، والتي تتعلق بالنشاط التجاري في المجتمع البيزنطي، وصف المحلات التجارية وورش العمل في القسطنطينية التي كانت موجودة في حالة فقيرة للغاية، بسبب انقطاع تام في استيراد المواد، والبضائع الخام، نتيجة لارتفاع الأسعار وانخفاض الطلب، وكان التجار والحرفيون في حالة يرثى لها، وهنا يخبرنا بسللوس أن القديس تدخل وتمكن من التفاوض على سعر مقبول للجميع من أجل انتعاش السوق التجارية مرة أخرى في بيزنطة(١١٥).

وكان القديسون يستخدمون الأسواق لاستثمار أموالهم في الأعمال الخيرية، مثل القديس ميخائيل السينيكليوسMichael the Synkellos الذي باع كل مدخراته لتسديد ديون الفقراء(١١٦)، والقديسة مريم الصغرى St. Mary the Younger –من القرن العاشر الميلادي– التي سددت ديون الفقراء، وأقرضت الأموال لأولئك الذين لم يستطيعوا دفع الضرائب؛ مما تسبب في سجنهم، كما أمرت ببيع كل ما تملك وهي على فراش الموت، لتوزيعه على الفقراء وتسديد ديونهم(١١٧)، وفي سيرة القديس "نيكون" لم يكن القديس قادرًا على دفع أجور الحرفيين الذين قام بتوظيفهم، فطلب منهم تقييده بالسلاسل وأن يذهبوا به إلى

أقرب مدينة كي يستعطف المؤمنين ويتمكن من أخذ الصدقات التي من خلالها يستطيع تسديد ديونه(١١٨).

وفي سيرة القديسين نجد معلومات متفرقة عن التجارة والأعمال التجارية التي كانت منتشرة في العالم البيزنطي آنذاك، فيخبرنا كاتب سيرة القديس يوحنا المعطاء عن بعض المعلومات الخاصة بأعمال التجارة اليومية للقديس، خاصة وأنه كان له نشاط تجاري كبير، ويمتلك أسطولًا ضخمًا، وتروي لنا السيرة قصة أحد ملاك السفن التجارية بمدينة الإسكندرية الذي كان في ضائقة مالية شديدة وبحاجة إلى المساعدة، ولعلمه المسبق باهتمام كنيسة الإسكندرية بأنشطة السفن والتجارة البحرية، قرر أن يسعى للحصول على مساعدة مالية من بطريرك الكنيسة- القديس يوحنا المعطاء- والمعروف بإحسانه وحبه لعمل الخير، فوافق القديس على مساعدته، وأعطاه خمس عملات ذهبية كقرض، بشرط إعادتها إليه مرة أخرى، وبعد أن أخذها التاجر مباشرة قام بشراء حمولة جديدة لسفينته، ولكن لسوء حظه تدمرت سفينته بالقرب من جزيرة فاروس في ميناء الإسكندرية، وأصبح بالكاد قادرا على إنقاذ سفينته من خلال التخلص من حمولتها عن طريق طرحها في البحر خوفا من الغرق، وعند عودته إلى القديس يوحنا توسل لطلب الرحمة منه، فرأف القديس بحالته، وأمر بإعطائه، عشرة عملات ذهبية، وليس خمسة كما في السابق، وتم تدبير شحنة أخرى، ولكن في اليوم الأول له خارج الميناء هبت رياح شديدة، وفقد كلًا من السفينة والشحنة، وتمكن طاقم السفينة من الفرار بحياتهم، وربما كادت تلك الكارثة الثانية أن تدفع مالك السفينة إلى الانتحار لولا تدخل القديس مرة أخرى، وقرر مساعدته للمرة الثالثة، حيث أمر بتخصيص نوع جديد من السفن ينتمي إلى الأسطول البطريركي بالإضافة إلى بحار ماهر، وتم تزويد السفينة بحمولة تُقدر بعشرين ألف مقياس من القمح، وبالفعل تم تجهيزها وتخصيصها لذلك التاجر، وبسبب الرياح العاتية التي هبت لمدة عشرين يوما تغير مسار السفينة وتوجهت بالخطأ إلى أحد الجزر البريطانية، وبعد أن رست السفينة اتجه طاقمها لمقابلة المسئول

عن المدينة، ومن حسن الحظ أن الجزيرة كانت تعاني من مجاعة شديدة، وعندما علم أهلها أن السفينة تحمل قمحًا، فشكر المسئول عن المدينة الرب، وعرض عليه أن يشتري منه جميع الكمية، وأن يعطيه مقابلًا نقديًا أو كمية من القصدير كمكافئة له مقابل هذا القمح الذي أنقذ المدينة من المجاعة، فدفعوا له مبلغًا وصل إلى ما يزيد عن أربعمائة وثمانية وخمسين ونصف جنيه ذهبى، حيث دفع البريطانيون المعرضون للمجاعة ذلك المبلغ مقابل القمح الذي أنقذهم من المجاعة، وقام صاحب السفينة بشحنها بكمية من القصدير التي عاد بها، واستطاع تعويض خسائره التي تعرض لها جراء تحطم سفنه[١١٩].

وتستمر السيرة في روايتها لهذه الرحلة الشاقة والممتعة، موضحة أن التاجر بعد أن حمَل سفينته بالقصدير، رسا بالسفينة عند "بينتابوليس Pentapolis"– فى بريطانيا– لبيع بعض من تلك الشحنة، وهناك قابل صديقًا قديمًا له، كان متعاقدًا معه على جمع الضرائب على المبيعات، وطلب منه شراء بعض القصدير، وقام بتسليمه شحنة يبلغ ثمنها خمسين عملة ذهبية، ونظراً لكون هذا الرجل تاجرًا محنكًا، أراد أن يختبر جودة القصدير من خلال صهره، فاكتشف بشكل أذهله بأنه فضة من أجود الأنواع، ثم أخذ صاحب السفينة الرجل معه لكي يعرض له الكمية المتبقية من شحنته الموجودة علي ظهر السفينة ، ولحسن حظهما أن كل الشحنة المتبقية على السفينة تحولت إلى فضة من أجود الأنواع[١٢٠].

وهناك مجموعة من الملاحظات المهمة، التي تم التوصل إليها من خلال تلك القصة فيما يتعلق بالنشاط الاقتصادي للإمبراطورية البيزنطية في أوائل القرن السابع، لقد كان صاحب السفينة في تلك القصة أجنبيًا عندما قام بالتوقف الأول في رحلة العودة إلى الإسكندرية لكي يودع بعض القصدير، وعندما أتى لأول مرة للبطريرك لطلب المساعدة، فمن الواضح أنه كان يعاني نوعًا ما من الحظ العاثر المالي، حيث كان يمتلك سفينة، ولكنه كان يحتاج للمال لشراء شحنة لحمولة سفينته، وكان ربان السفينة واثقا جدا من البطريرك؛

مما جعله يلجأ إليه لطلب رحمته وعونه، ولكن كان الأمر مختلفاً عندما خسر كلاً من الشحنة والسفينة؛ مما جعله يدرك أنه من المستحيل تسديد ديونه؛ مما جعله متيقنًا أنه سيُعدم، ورغم ذلك فقد أعطاه البطريرك فرصة أخرى، وفى تلك المرة تيقن ربان السفينة من تحقيق مكاسب مهولة في احتمالية كانت كنيسة الإسكندرية غافلة عنها(١٢١).

وتوضح لنا تلك الرواية أن القديس خلال تلك الفترة أدار أسطولًا ضخمًا للأغراض الاقتصادية باستخدام سفن كبيرة، مثل التي كانت تستطيع أن تحمل أوزانًا تصل إلى (١٢٤) طنا لـ ١٠٠ قدم مكعب، وعند المقارنة، فإننا نجد أن هذه السفن أكبر بمقدار خمسة إلى عشرة مرات من تلك السفن التي امتلكتها الأديرة الكبيرة للقديس Mt Athos فى القرنين الحادي عشر والثاني عشر (١٢٢).

كما تضيف السيرة تعرض الأسطول البطريركي لعاصفة شديدة في بحر الأدرياتيك، مما أجبر قادة السفن على التخلص من حمولتها بإلقائها في البحر، رغم أنها كانت تتكون من أشياء قيَمة، كالملابس الحريرية، والفضة، وغيرها من البضائع، وقد قُدرت حجم الخسائر بواقع ٣٤٠٠ رطلًا من الذهب، حيث كان هناك ما يقارب من ثلاث عشرة سفينة، وعندما اتجهت السفن إلى داخل ميناء الإسكندرية، سعى كلُ من ربان السفن وعملائها إلى طلب اللجوء السياسي من الكنيسة، في حين لم يقم البطريرك بتوجيه التهم ضدهم، بل أرسل إليهم رسالة بخط يده تقول: "لقد أعطى الرب بإرادته كما أنه أخذ بإرادته، وكما يبدو أن الأمر مناسب للرب، ولذلك فقد حدث الأمر .. تعالوا بحرية أيها الأطفال، ولا تكونوا خائفين بسبب ما حدث، حيث إن الرب سوف يدبر الأمر للغد"، ومن خلال الرواية السابقة نستطيع أن نلاحظ كيف كان يتم تنظيم الأسطول البطريركي، حيث كانت كنيسة الإسكندرية تمتلك السفن، وكان عملاء السفن يتولون كل ما يتعلق بالمشتريات، وإنزال الحمولة، أو الشحنة ودفع الحساب لطاقم السفينة، أما ربان السفينة فهم ببساطة مسئولون فحسب عن الملاحة في البحر (١٢٣).

وفى سيرة القديس يوحنا المعطاء نفسها، نجد مثالًا آخر يحكي عن مالك سفينة جعل عميل سفينته -وهو أخيه في الأصل- المسئول عن السفينة أو الشحنة، وفى أحد الأيام، قام مالك السفينة بإحضار سبعة جنيهات ونصف من الذهب، بما يمثل كل ثروته، وأعطاها هدية للبطريرك المحسن الذي أحسن له من قبل، وطلب منه أن يصلي من أجل شفاء ابنه المريض بشدة ومن أجل العودة الآمنة لسفينته من أفريقيا، فقام القديس يوحنا بوضع الذهب أمام المحراب في المصلى في غرفته، وقام بممارسة الطقوس الدينية نيابة عن طلب صاحب السفينة، وعلى الرغم من ذلك فقد توفي ابن مالك السفينة بعد ثلاثين يومًا، كما هُددَت السفينة بعد موت الابن بثلاثة أيام بالتدمير، فتم التخلص من كل الشحنة بإلقائها في البحر، وقد أثرت كلتا الكارثتين على صاحب السفينة، ولكن القديس جاءه في رؤية منامية، ونصحه بتلك الكلمات: "لماذا أنت يائس وحبط؟ ألم تطلب مني أن أصلي للرب بأن يتم شفاء ابنك؟ انتظر واستمع لكلماتي جيدا، لقد تم إنقاذ ابنك وخلاصه، صدقني لو عاش ابنك فربما تحول إلى رجل فاسد وشرير، أما فيما يخص سفينتك، ففي الحقيقة كان من الممكن أن يغرق كل من سفينتك وطاقمها في قاع البحر، وبالتالي كان من المحتمل أن تفقد أخيك أيضًا"(١٢٤) .

وتوضح لنا سيرة معجزات القديس أرتيميوس بشكل تفصيلي أكثر، أن رفاته كانت محفوظة فى قبو كنيسة القديس يوحنا المعمدان فى ضاحية أوكسيا Oxia بالقرب من الشارع الاقتصادي الشمالي الشرقي الرئيس في القسطنطينية، وقد اشتهر القديس أرتيميوس بعلاج مرض الفتاق في الأعضاء التناسلية الذكورية، ودائمًا ما كان يتردد عليه المرضى البالغون والمرتبطون بأعمال وأنشطة اقتصادية متنوعة، ومن خلال الروايات التي تحتويها سيرة القديس أرتيميوس ومعجزاته في الشفاء، نستطيع أن نستدل على بعض اللمحات عن الحياة الاقتصادية للمرضى المترددين عليه، فعلى سبيل المثال، كانت هناك رواية تبرز قدرته الشفائية، في أن هناك تاجرًا أوروبيًا من جزيرة

خيوس Chios، كان يأتى غالبًا إلى القسطنطينية للقيام ببعض الأنشطة المالية والتجارية; ونظرًا لأنه كان يعاني من مرض الفتاق فقد اختار البقاء في القسطنطينية، وقرر زيارة ضريح القديس أرتيميوس ومارس طقس الاحتضان incubation (١٢٥)، ولكن بدون جدوى، وبعد ثلاثة أشهر، أقنعه البحارون أن يُغادر، وقد اضطر للانصياع لمطالبهم، وتم علاجه بعد ذلك في طريق عودته إلى وطنه، ويمكن أن نستشف من تلك القصة أن التجار المسافرين من مسافات بعيدة يمكنهم البقاء لمدة ثلاثة أشهر في العاصمة، حتى يتم بيع ما قاموا بإحضاره من بلادهم، وحتى يتمكنوا من شراء الشحنة التي سيعودون بها على سفنهم(١٢٦).

وفي عهد الإمبراطور هرقل(٦١٠-٦٤١م) تم تأكيد على عمق الراوبط الاقتصادية التي تربط القسطنطينية بجزيرة رودس، حيث نستخلص من معجزات القديس أرتيميوس أن هناك راهبًا يسمى جورج، من سكان رودس الأصليين، وكان يمتلك عقارًا كبيرًا فيها، بالإضافة إلى امتلاكه لسفينة تجارية كان يعمل معه عليها ابناه، وبسبب معاناته من مرض الفتاق لعدة سنوات، قرر الذهاب أثناء رحلاته التجارية إلى القسطنطينية لزيارة رفات القديس أرتيميوس المتخصص في هذا الشأن من العلاج، وهو ما حدث بالفعل(١٢٧).

وتشير حياة القديس "نيكولاس صهيون" –القرن العاشر Life of Nicholas of Sion إلى أنه كانت هناك علاقات تجارية كبيرة بين الموانىء البيزنطية ونظيرتها العربية، وتشهد على ذلك الرحلتان الواردتان في السيرة، حيث يغادر نيكولاس نيقية –غرب آسيا الصغرى– علي متن قارب رجل يدُعى ميناس، ويصل إلى عسقلان في غضون خمسة أيام، و كان من المفترض أن تكون الرحلة الثانية إلى القدس، لكنها ذهبت إلى مصر(١٢٨)، كذلك تشير سيرة القديس نيكون، أن هناك أخوة من البنادقة" اللاتين" ترددوا على إسبرطة بغرض ممارسة التجارة(١٢٩).

وهناك رواية أخري قدمتها لنا سيرة القديس أرتيميوس، بأن هناك

شخصًا يدعى "ثيوتيكينوس" Theotekno ، كان يعمل في بناء السفن، وكان بحاراً في الوقت نفسه، عانى من الفتاق لمدة خمسة وعشرين عامًا، وفي النهاية جاء ليصلي أمام رفات القديس أرتيميوس في القسطنطنية، وبينما هو كذلك ينتظر إتمام شفائه، قرر أن يستغل وقته ويقوم ببعض الأعمال الخشبية لترميم مقبرة القديس أرتيميوس، وعندما حان الوقت لكي يسافر ويركب سفينته كي يتوجه إلى بلاد الغال وقبل وصوله إلى مقصده، حدثت بعض الثقوب أسفل السفينة، فقرر النزول في الماء وإصلاح التلف، وبالتالي نستمد معلومات عن طبيعة الحالات الطارئة التي ربما يتطلب من مرمم السفينة فيها أن يقوم بمعالجتها والتعامل معها(١٣٠).

كما تمدنا سيرة البطريرك ليونتيوسLeontios ببعض المعلومات ذات الأهمية والمتعلقة بالشئون الاقتصادية، حيث أعطى كاتب السيرة معلومات عن سيتريشن Siteresion (١٣١)، التي كانت تُعطي للأديرة الدينية سواء كانت مالًا أو غلالًا، حيث تشير الرواية إلى أن البطريرك ليونتيوس سافر إلى القسطنطنية من أجل الحصول على هذه الهبة من الإمبراطور مانويل كومنينوس Manuel I Comnenos(١١٤٣-١١٨٠م) وبعض الاستثناءات لدير باتموس Patmos- في بلاد اليونان-(١٣٢).

ولم تكن الأعشاب الشرقية الدخيلة والتوابل واللآلئ الرائعة فقط هي المطلوبة لخدمة الاحتياجات الدينية والسياسية والجمالية للبلاط الحاكم والكنيسة والمسئولين، حيث كان يتم حمل كل تلك العناصر في شحنات التجار على السفن، كما كانت هناك تجارة أخرى في السلع الأقل قيمة، التي يتم احتياجها لتغطية المتطلبات اليومية للمواطن العادي (١٣٣) ، كما كانت الأقمشة الحريرية القادمة من الهند والتي تدل على القيمة الاجتماعية لمن يرتديها، أكثر أهمية من التوابل العطرية القادمة من الهند(١٣٤).

ويعد الرخام واحدًا من المواد غالية الثمن، التي كانت تنُقل على سفن في البحر المتوسط، وكان الطلب على الرخام كبيرًا خصوصًا لاستخدامه

للأرضيات، وكساء مباني الكنائس، وفى معجزات القديس ديمتريوس، نقرأ أن "كيبريانوس" Kyprianos " وهو أسقف أحد الأماكن الدينية في شمال أفريقيا كان في طريقه للقسطنطينية للعمل بالتجارة، ولكن تم إيقافه عند اليونان، واتُخذ أسيرا بواسطة العناصر السلافية، ولكن مع التدخل الأسطوري للقديس تمكن هذا الأسقف من الهرب، وعند عودته آمنا إلى وطنه، أمر كيبريانوس برد الجميل للقديس لتدخله وإنقاذه وخلاصه من الأسر بأن أمر أن يتم بناء كنيسة وتزيينها على أن يتم تكريسها لقديسه المنقذ، وعندما احتاج الأسقف إلى الرخام لإكمال هذا المبنى الضخم، قام القديس بإنقاذه مرة أخرى من تلك المحنة الصعبة، حيث ظهر له في الحلم، وأبلغه النبوءة: "بأن سفينة سوف ترسي في المرفأ، وبالتالي سوف تدعمك بالرخام الذى تحتاج له، اذهب إلى قبطان السفينة واطلب منه أن يعطيك الرخام الذي تحتاجه"، وفى رؤية أخرى: كشف القديس لهذا الأسقف عن المكان الذي يتم تخزين الرخام فيه بالتحديد في السفينة "كما كشف له عن كمية هذا الرخام، وعن نوعه، وعن مكانه الأصلي، وعن عدده، وعن اسمه الدقيق"(١٣٥).

وفى سيرة القديس يوحنا المعطاء، نقرأ أن الأسطول البطريركي قد تم أسره خلال عاصفة شتوية قوية في بحر الأدرياتيك، مما أجبر رهبان السفن على التخلص من كل حمولة السفن التي تكونت من ملابس وفضة وغيرها من البضائع القيمة(١٣٦)، ومرة أخرى تخبرنا السيرة، أن خمر فلسطيني ذو جودة عالية كان يتم تصديره إلى الإسكندرية، وذات مرة، تناول البطريرك أثناء زيارته لكنيسة القديس ميناس St. Menas في الإسكندرية كوبًا من الخمر، فشعر على الفور بعبيرها الأخاذ ومذاقها الرائع، وعند سؤاله عن مصدر تلك الخمر، ومن أين تأتي وعن تكلفتها، فقد أبُلغ المسئول عن الكنيسة البطريرك أنه من أصل فلسطيني وأنه غالى الثمن في الحقيقة "(١٣٧).

وقد أشار يوحنا موسخوس، أنه بجوار دير القديس ثيودسيوس كان يوجد سوق تجاري، وداخل هذا السوق يسكن صاحب سفينة تجارية تصل

سعتها إلى خمسة وثلاثين ألف موديوس، التي كان يعمل عليها العديد من العمال، وحددهم القديس بحوالي ثلاثمائة عامل كل يوم داخل السفينة(١٣٨).

وأشار بشكل ضمني أن بناء السفن يتم في "سلوقية بييريا" Seleucia Pieria، بالقرب من ميناء أنطاكية؛ نظرًا لوجود كميات كبيرة من الأخشاب هناك، حيث يروي قصة الراهب "بروخاس"Brochas ، ذلك الراهب الذي كان يقوم ببناء صومعة لنفسه، ولكن قبل أن يكتمل تشييدها نضبت الأخشاب فتوقف البناء، وعند قدومه إلى المدينة وجد شخصًا يدعى "أناتوليوس الأحدب" Anatolios the Hunchback وهو تاجر ثري ، كان يجلس في الساحة خارج منزله، فقال له طالبا منه "من فضلك، كن عطوفا وصالحا معي واعطني القليل من الخشب حتى يمكن لي عمل سقف فوق مسكني" وهنا رد عليه التاجر، خذ ما شئت من الخشب (١٣٩)، وبشكل جلي ناقشت سيرة القديس لازاروس من جلاسيون، استخدام حطب شجر الزيتون في القرن الحادي عشر الميلادي، حيث أمر القديس لازاروس أحد تلاميذه أن يذهب إلى شجرة زيتون قريبة ويقطعوها ويستخدموها كخشب في بناء بعض الإنشاءات الخاصة به(١٤٠) ، وفي موضع آخر من السيرة ذاتها، ذهب بعض الرهبان إلى أعلى الجبل لجمع جذور الزيتون واستخدامها وقودًا لصنع الفحم(١٤١)

وتشير سيرة القديس "جورس أماستريسGeorge Amastres " التي كتبها إجناتيوس الشماس، أن التجار كانوا يدفعون عشورًا نظير مرور تجارتهم المختلفة ، كما حدث عند عبورهم طريق الفولجا–بحر قزوين– ؛ مما يوضح أن السيطرة البيزنطية أخذت شكل ضريبة تُدفع في ميناء طرابيزون(١٤٢).

وأخيرًا يمكن القول أنه من خلال دراسة سير القديسين في الإمبراطورية البيزنطية، لاحظنا بشكل واضح أهميتها في وجود عالم آخر في المجتمع البيزنطي المتمثل في حياة الفقراء والبسطاء والملىء بالألم والمعاناة الحقيقية، ورغم قسوة هذا العالم وصعوبة الحياة فيه، إلا أنه كان موجودًا وقائمًا بالفعل، لكنه كان غير مجد وجذابًا لأولئك الذين اهتموا بدراسة عالم الصفوة، وربما لمن يسعى في البحث عن

هذه الشريحة المجتمعية فلن يجد ضالته بشكل واضح مثلما يجدها في كتابات سير القديسين، مما يساعد في إعطاء صورة واضحة عن المجتمع بكل طبقاته وأحواله، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية بجانب الدينية بكل تأكيد، خاصة أنه يقدم عبر صفحاته مادة وفيرة وفريدة من نوعها عن الحياة اليومية للمجتمع البيزنطي، والأهم أنه يعكس ثقافة هذا المجتمع في مختلف مناحي الحياة .

الهوامش:

(1)Khazdan, A.,"Hagiography",*ODB*, pp. 897-899; Rico, G. M. et als. (ed.). *Hagiography and Religious Truth: Case Studies in the Abrahamic and Dharmic Traditions.* (Bloomsbury Publishing, 2016), pp. 7–22; Jeanette B. Clancy, *Beyond Parochial Faith: A Catholic* Confesses (Wipf and Stock Publishers, 2019) p. 137

يُعد الأب البلجيكي هيبوليت ديليهاي Hippolyte Delehaye (١٨٥٩–١٩٤١م) هو المؤسس الأبرز لدراسة سير القديسين، خاصة وأنه كان عضوًا بارزًا في منظمة بولنديست The Bollandists: وهى هيئة كاثوليكية، قامت بالعديد من الدراسات الحديثة المتخصصة في سير حيوات القديسين بداية من القرن السابع عشر الميلادي، التى تم تحريرها باللغتين اليونانية واللاتينية فيما يعرف بأعمال القديسين Acta Sanctorum، والتي يرجع الفضل في تجميعها إلي الكاهن يوحنا بولند Jean Bolland(١٥٩٦–١٦٦٥)، الذى سميت المؤسسة بإسمه تخليدًا لدوره الكبير في حفظ تراث القديسين

Acta sanctorum quotquot toto orbe coiuntur, vel a catholicis scriptoribus celebrantur, 68 Vols. ed. Jean Bolland, et.al. (3rd., Venice, 1643-present); "Delehaye, Reverend Hippolyte", *The Catholic Encyclopedia and Its Makers* (New York, 1917), p. 41

وكان هيبوليت ديليهاي، أول مفكر قام بالاهتمام والتركيز على ما بعد القراءة لهذه الكتابات، والجمع والتحرير لها، بل قام بإجراء التحليل الواقعي للنص، وكان المنظور الذي استخدمه منظورًا تاريخيًا دينيًا بشكل واضح، حيث أراد أن يقوم بالكثير من الجهد للجمع والدمج ما بين عقيدته والتحليل التاريخي، بعدما أدرك من وجهة نظره أن العديد من سير القديسين تحول إلى قصص وحكايات خيالية افتراضية؛ بسبب القدرات العقلية البسيطة للعامة، مما أدى بدوره إلى سوء استخدام مثل هذه الكتابات المهمة، ففكر في طريقة لتحديد ماهية العناصر الحقيقية لسير حياة القديسين، مما يساعد في فهمهما، وإعادة تفسيرها بشكل واضح، وبالتالي إعادة تقييم المرحلة التاريخية وتفسيرها بشكل صحيح دينيًا وتاريخيًا، من خلال الاعتماد على هذه الكتابات المهمة، فبدأ في عام ١٩٣٤ م، بنشر كتاب قصير عنوانه" خمسة دروس في منهجية الكتابات الهاجيوجرافية "cinq leçons sur la méthode hagiographique" الذى مازال يعد كتابا مهمًا فى عدة جوانب، تناول فيه المنهجية وكيفية دراسة الكتابات الهاجيوجرافية، وجاءت دروسه أيضًا لتعبر عن وجهة نظره، وكرد فعل تجاه انتهاكات المدرسة الانتقادية Hypercritical School ورفض وجهات نظرهم، حول فكرة عدم جدوى سير القديسين، وأكد أهميتها، وضرورة الاستفادة منها.

Delehaye,H., *Cinq leçons sur la methode hagiographique*, Subsidia hagiographica 21 (Brussels, 1934) Delehaye, *Les legendes bagiograpbique*, 3rd ed. (Bruxelles: Societé des Bollandistes, 1927). Translated by V.M. Crawford as The Legends of the Saints (University of Notre Dame, 1961), Also, *L'Ancienne Hagiograpbie Byzantine* (Bruxelles: Societé Des Bollandistes, 1991) ; Sevcenko,I., *Observations on the study of Byzantine hagiography in the last half-century* (Toronto 1995), pp. 1-5.

= وفي عام ١٩٨٦م، ألقى الباحث السويدي ريدن Ryden ورقة بحثية في المؤتمر الدولي السابع عشر للدراسات للبيزنطية المنعقد في مدينة واشنطن، أكد فيها أهمية كتابات سير القديسين، وحدد من خلالها نصوصًا معينة تستحق الدراسة، بدءًا من العصر البيزنطي الباكر، وحتى القرن العاشر الميلادي، وحدد فيها الحد الفاصل المميز ما بين التاريخ وكتابات سير القديسين، وقدم من خلالها ملاحظات مهمة عن الطبيعة التاريخية والاجتماعية والمحاولات الشخصية لكُتاب سير القديسين.

Rydén, L., "New Forms of Hagiography: Heros and saint", *The 17 international Byzantine Congress, Major Paper*s, (Washington, DC1986),pp.537-54; Rydén, L.," Byzantine hagiography in the ninth and tenth centuries: Literary aspects, *Annales Societatis Literarun Hubbabiorum* Regiae Upsaliensis(Arsbok 1986),pp.69-79.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية، يعد المؤرخ ألكسندر كاجدان Alexander Khazdan من الشخصيات الرئيسة التي عكفت علي درسة سير القديسين، حيث سعى بشكل استثنائي على استكشافها للحصول على المعلومات التاريخية، خاصة أنه آمن بأهميتها بوصفها مصدرًا مهمًا للحصول على المعلومات الخاصة بالمجتمع، وبوصفها إنعكاسًا واقعيًا للحقائق التاريخية والاجتماعية، وعمل على تكوين قاعدة بيانات عن سير القديسين من القرن الثامن وحتى القرن العاشر الميلادي، والتي تم استكمالها عام١٩٩٧م، وهو عام وفاته، وهي منشورة حاليًا على موقع دومبارتون أوكس Dumbarton Oaks، وتم تزويد هذه القاعدة بمقدمة مهمة لتلك البيانات، اشتملت على عدد ١١٨ قديسًا.

بعد ذلك حدث جهد منظم وواضح فى الولايات المتحدة لترجمة نصوص سير القديسن البيزنطية من لغاتها الأصلية" اليونانية واللاتينية" إلى اللغة الإنجليزية، وجاءت أول مجموعة من النصوص التي تمت ترجمتها بموقع الدومبارتون أوكس Dumbarton Oaks Project وتكونت من سبع عشرة سيرة من سير القديسين، أربع عشرة منها (كانت عن سير النساء القديسات)، الأمر الذي سهل على الباحثين فرصة استخدام هذه البيانات والمعلومات والجوانب التاريخية المرتبطة بحياة القديسين، للكشف عن جوانب الحياة اليومية وتاريخ العقلانيات.

https://www.doaks.org/research/byzantine/resources/hagiography

(٢) عبد العزيز رمضان، "البيزنطيون بين علاج الأطباء ومعجزات القديسين: دراسة في ضوء هجيوجرافيا العصر البيزنطي الباكر"، *ضمن حولية التاريخ الإسلامي والوسيط*، المجلد الخامس ٢٠٠٦/٢٠٠٧م، ص ٣٣-٩٧، ص٣٣.

في حقيقة الأمر، إن كتابة سير القديسين لها جذور سبقت ظهور المسيحية، حيث نجد صداها في التقاليد اليهودية، فيما يتعلق بتعرض الأنبياء للاضطهاد والتعذيب في سبيل نشر عبادتهم، وقدرتهم على تجاوز المصاعب، ومعجزاتهم = = وكراماتهم التي قاموا بها، كذلك وجدت في الكتابات والروايات اليونانية والرومانية قدرة الأبطال على التغلب على الشدائد وقدراتهم الخارقة آنذاك.

James T. Palmer, *Early Medieval Hagiography*, Arc Humanities Press, (Leeds 2018),p.19

وفي أوائل القرن العشرين، اتجه العديد من المؤرخين للبحث والدراسة حول الاستمرارية ما بين المسيحية والماضي الوثني الكلاسيكي، حيث وجدوا نماذج لتبجيل القديسين في مذهب الآلهة أو الأبطال المحليين الذي كان معمولًا به قبل ذلك، وتجادل هؤلاء الباحثون والدارسون، بأن هناك تشابهات بارزة في الشكل الأدبي والطبيعة الدينية ما بين سير حياة الفلاسفة في الفترة الكلاسيكية القديمة والرجال المُقدسين الوثنيين من جهة، وبين سير القديسين التي كتبت في الفترة نفسها أو ما يليها، على الجانب الآخر، واجه الباحثون الذين تصدوا لدراسة تلك السير في العصر البيزنطي الباكر مشكلة جدلية حول أيدولوجية سير القديسين، وهل كانت في حقيقتها شكلًا من أشكال الأدب الوثني القديم، أم أنها أعمال مستقلة ذات طابع وأبعاد مسيحية، خاصة وأنه سبق أن أشرنا أنه كان هناك تداخل واضح بينها وبين الأدب الوثني القديم؛ سواء أخلق هذا النموذج شكلًا أدبيًا مبتكرًا، أم أنها اتبعت أشكالا أدبية موجودة مسبقًا، وملأتها بمحتوى جديد، إلا أنها شكلت اتجاهًا ثقافيًا مسيحيًا جديدًا خلال الفترة المبكرة من عمر الإمبراطورية البيزنطية. وتُعد سيرة القديس أنطونيوس The Life of Antony – في القرن الرابع الميلادي – نقطة البدء لنوع أدبي جديد في الكتابات المسيحية، وفي العصر البيزنطي اتخذ معظم كُتاب سير القديسين هذه السيرة نموذجًا ومصدرًا رئيسًا لهم، وقد اعترف القديس أغُسطين أنه اندفع للأمام في رغبته أن يصبح معموديًا بعد سماع قصص من حياة القديس أنطونيوس، هذا بالنسبة للسير اللاتينية، أما بالنسبة لليونانية، فلا يوجد اختلافات كبيرة حول المحتوى الذي جاءت عليه تلك السير الأولى، والتي تحتوي على دور الحياة الوعظية في صورة رواية تتضمن العديد من المعجزات والعظات وأحوال المجتمع، وقد كتب القديس جيروم Jerome حياة القديس بولس الناسك The Life of St. Paul The Hermit التى تعد أيضًا البداية الحقيقية لسير القديسين اللاتينية.

Rapp, C.,The Origins of Hagiography and The Literature of Early Monasticism: Purpose and Genere between Tradition and innovation, *UT*, Vol.1(2010), pp. 119-130, esp. 119-120; Marc Van Uytfanghe, "L'hagiographie, un "genre" chrétien ou antique tardif ? », *AB*, 111 (1993), pp. 135-188, esp.170-179.

وقد نالت كتابة سير القديسين اهتمامًا كبيرًا في العصر البيزنطي؛ بسبب مساعي مجموعة من المؤلفين البارزين لاستعادة الاهتمام والتركيز على هذا النوع الأدبى لسير القديسين، الأمر الذي عاد بالفائدة الكبيرة على هذا النشاط سواء من حيث جودة الكتابة وكمها والتأليف، أو الانتاج الأدبي، وقد ظهرت العلامات الأولى لذلك النشاط في السنوات التالية للمجلس المسكوني السابع The Seventh Ecumenical (Council in Nicaea 787) .

Rapp, C., "Byzantine Hagiographers as Antiquarians, Seventh to Tenth Centuries", *BF* 21 (1995), pp. 31-44.

ويعد القرن التاسع الميلادي فترة التجديد في أدب سير القديسين، التي عرفت فيما بعد بفترة الانطلاق، بعد إصابته بإنحدار ملحوظ مثل بقية الأنواع الأدبية الأخرى في القرنين السابع والثامن الميلاديين، بسبب حالة الانحدار العام التي أصابت التعليم والثقافة الأدبية آنذاك، والانشغال بتكريم أبطال معركة مناهضي عبادة الأيقونات، فبزغ نجم أدب القديسين مرة أخرى وبشدة في القرن التاسع الميلادي مجددا في أشكاله

وأساليبه، من خلال استخدام لغة وأسلوب متميز وعالٍ، كما اتضح أن هناك اختيارًا دقيقًا للغة والأسلوب في أعمال سير القديسين، وقد سادت تلك السمات العامة لكتابات سير القديسين منذ ذلك الحين، كما أنهم اتبعوا أسلوبًا سرديًا أقل تعقيدًا عند سرد الرواية النصية، وبين نهاية = = القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، قام الباحث السويدي ريدن بفهرسة سبعين نموذجًا من حياة القديسين، وإن كان التركيز فيها على المراجعة الأسلوبية وإعادة الكتابة لتاريخ أدب القديسين البيزنطي.

Browning, R., "The language of Byzantine literature", in S. Vryonis (ed.), The ' Past ' in *Medieval and Modern Greek Culture*, (Malibu 1978), pp. 103-113, esp. 103-105; Ryden, L., "New Forms of Hagiography", pp.537-551; Hatile, P., *The Monks and Monasteries of Constantinople*, *Ca 350-850*, (Cambridge 2007), pp. 250-251; Dagron,G., "L'ombre d'un doute L'hagiographie en question, VI-XI Siecle", *DOP*, Vol. 46 (1992), pp. 59-68, esp. 65-7; Kaldellis, A., "The Hagiography of Doubet and Scepticism, The Hagiography of Doubt and Skepticism', in S. Efthymiades (eds.), *The Ashgate Research Companion to Byzantine Hagiography*, Vol. 2 (Ashgate 2014), pp. 453-477,esp. 456-457.

كما أن سير القديسين الباقية من القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، اللائي يقع تأليفها ضمن الفترة الزمنية نفسها؛ فقد كانت مجموعة مكونة من حوالى سبعين نصا، قام بتأليفها محموعة من الرهبان أو رجال الدين، وكان القليل من تلك السير لحياة القديسين غير مرتبط مع حياة نسلهم وفى الواقع، فإن العديد من كُتاب سير القديسين فى تلك الفترة كانوا معروفين لدينا بالاسم، وربما يعد كثير منهم كُتابًا منظمين مارسوا ذلك النوع من الكتابة فى أكثر من مناسبة، ومن خلال استخدامنا لمصطلح حديث، فيمكن أن نُعرفهم على أنهم كُتاب محترفون عملوا بناء على نظام ومنهج معين، ويمكن لنا هنا أن نذكر أسماء القليلين من هؤلاء الكتاب، مثل: إجناتيوس الشماس Ignatios the Deacon الذى كتب أربعة من سير القديسين، وميثوديوس Methodius الذي كتب أكثر من خمسة سير (بما فيهم قديسون قدامى)، والراهب ساباس Sabas the monk الذي ألف على الأقل ثلاثة من سير القديسين، وقد ظهروا فى المشهد الأدبي بعد عام ٨٢٩م. كما أن هناك جزءًا فرعيًا من إنتاجهم الأدبي تمت كتابته بتفويض من قبل رهبان أو رؤساء أديرة أو رجال الدين.

Efthymiadis, S., "Byzantine Hagiographer and his Audience in the Ninth and Tenth Centuries", In: *Metaphrasis: Redactions and Audiences in Middle Byzantine Hagiography*, ed. Christian Høgel (Oslo 1996), pp. 59–80, esp. 63.

وقد وصف الدارسون القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين على أنهما فترة ركود من ناحية الإنتاج الأدبي لسير القديسين، واعتمدوا في ذلك على أعداد السير التى تم إنتاجها وانخفاضها بشكل ملحوظ مقارنة بالنصوص التي تم إنتاجها خلال القرون السابقة، خاصة فترة عبادة الصور.

Magdalino, P., "Holy Man in the Twelfth Century", In *The Byzantine Saint*, ed. S. Hackel (London, 1981), pp. 51-66, esp. 52–53.

وقد صنف أحد الباحثين إنتاج سير القديسين خلال هذين القرنين في قائمتين رئيستين: قائمة تضم التجميعات الكبيرة والمجموعات المتصلة لحياة القديسين القدماء والمحدثين، وقائمة تضم الخُطب والتي كانت تعكس

علم البلاغة والخطابة، وارتباط ذلك بالمفكرين البيزنطيين، والذين أدوا دورًا بارزًا منذ القرن الحادي عشر في ازدهار المدارس البطريركية ومدارس البلاط للخطابة والفلسفة والقانون، وأرجع الباحث انحدار القيمة الإنتاجية للنصوص للتوزيع الجغرافي، حيث قام بكتابة الكثير من تلك النصوص أفراد يعيشون على حدود الإمبراطورية، وقد شكل ذلك اتجاهًا جديدًا ظهر لأول مرة منذ القرن التاسع الميلادي. وإن كان التركيز منصبًا على إحياء سير القديسين القدماء.

Symeon A. Paschalidis, ‘‘The Hagiography of the Eleventh and Twelfth Centuries’’, In: *The Ashgate Research Companion to Byzantine Hagiography*, ed. S. Efthymiadis (Ashgate 2011) Volume 1: Periods and Places, pp. 143-171, esp. 143-144.

(3)Philippart, G.,"Hagiographes et hagiographie, hagiologes et hagiologie: des mots et des concepts", *H* 1 (1994), pp.1-16,esp1-3.

تعرضت كتابات سير القديسين للنقد والتقليل من قِبل كُتاب عصرهم، في محاولة للتقليل من أهميتها؛ مما جعل هناك صراعًا دائما قائما على شك القراء فيما يُكتب فى سير القديسين، خاصة المرتبطة بالمعجزات الخاصة بهؤلاء القديسين، إلا أن كُتاب أعمال سير حياة القديسين كانوا على دراية بالحقيقة، بأنهم كانوا متوقعين لعدم التصديق والريبة من قبل القراء. لذلك حاولوا دائمًا في كتاباتهم التنويه بشكل مستمر عن هذا الأمر، فنجد أن مؤلف سيرة القديسة مارية المصرية Saint Mary of Egypt يُحذر قراءه من ذلك قائلًا: إذا كان هناك بعض الناس الذين يقرأون ذلك العمل عن سيرة القديسة، وربما لا يصدقونه، أو يشكون فى صدقه، وذلك بسبب اندهاشهم من الجوانب الفائقة للطبيعة فى عناصر القصة الحالية، مما يجعلهم يرفضون أن يصدقوا حدوث تلك الأفعال فى الواقع، فأسأل الرب أن يكون رحيمًا بهم. وفي سيرة القديس "يوانيكيوس" Saint Ioannikios نجد أن الراهب "بطرس" كاتب السيرة يردد فى تمهيده لسيرة القديس قائلًا: "وربما أضيف ذلك أيضا، حيث يمكن لبعضهم أن يشك في أن ما أقوم بكتابته هو كلام مزور غير حقيقي، وأنه جانب اصطناعى غير واقعي، حيث من المعتاد أن يقوم الناس باستبدال ما هو مفيد بعدم التصديق".

Life of Mary of Egypt, Trans., M. Kouli, in: Holy Women of Byzantium: Ten Saints' Lives in English Translation, ed, Alice M., Tabot, Dumbarton Oaks (1996), pp.70-79, esp. 70; *Life of Ioannakios*, Trans. D. Sullivan, in: *Byzantine Defenders of Images, Eight Saints 'Lives in English Translation*, ed. Alice M. Talbot, Byzantine Saints' Lives in Translation (Washigton, DC., 1998), pp. 255-355, esp. 331; Kaldellis, A., ‘‘The Hagiography of Doubet and Skepticism’’, pp. 453-477, esp. 456-457.

وهنا وجب التنويه أن مسألة الشك وعدم التصديق مقتصرة فقط على الجانب المتعلق بما وراء الطبيعية لأعمال القديسين ومعجزاتهم. كما أن ذلك الأمر ينقصه كثير من المفاهيم الحديثة عن "الطريقة التى يفكر بها البيزنطيون" وأن "الحد الفاصل ما بين الأمور الطبيعية والأمور فوق الطبيعية قد كانت مجهولة وغير محددة، وأنه "بالنسبة للرجل البيزنطى، مثله مثل أي شخص من فترة العصور الوسطى، فقد ظهرت الجوانب فوق الطبيعية الإعجازية على أنها حقيقية جدا ومعتادة الحدوث"، وكانت الأعمال الإعجازية

الخارقة مكونًا وجزءًا طبيعيا في عالم العصور الوسطى"، وقد كان هناك القليل من الشك تجاه ذلك الأمر، ولكي نستشهد على ذلك من كلام أحد الباحثين، ونقتبس كلام المؤرخ أرنولد جونز A.H.M Jones حين قال: "إن المرتابين الشكاكين والعقلانيين، إذا وجدوا في الأساس، لم يتركوا أي أثر في التاريخ والأدب"، وعلى الرغم من أن هذا الاعتقاد هو نتيجة الالتزام بوجهة نظر معينة خاصة عن "جوهر" الثقافة البيزنطية التي أدت إلى احتياجات حديثة. فبشكل عام فإن النوع الأدبي الذي يثبت وبقوة على الوجود الواضح للشك هو سير القديسين وهى النوع الأدبي الذي يستخدم لإثبات عكس ذلك.

Kaldellis, A., "The Hagiography of Doubet", p. 463; Jones, A.H.M., *The Later Roman Empire, 284-602: A Social Economic and Administrative Survey*, Vol II (Oxford 1964), p. 957

(4)Efthymiadis, S., 'New Developments in Hagiography: the Rediscovery of Byzantine Hagiography ', in: *Proceedings of the 21st International Congress of Byzantine Studies*, London 21-26 August 2006, Vol.I, plenary ppers, ed.Elizabeth Jeffreys (Aldershot 2006), pp.157-71,esp.157.; G., Philippart, 'Hagiographes et hagiographie", p. 2.

(٥) كان يُنظر في البداية لسير القديسين على أنها موضوعات تم جمعها معًا مع اختلاف ترتيبها لتكَون عددًا محدودًا من الموضوعات الأسطورية، التي أدرج فيها مؤلفوها بعض الحقائق، والتي تعد هي العنصر الوحيد الجدير بالاهتمام، ومن ثم كانت طريقة انتقاء الحقائق هي المتبعة، وقد تختلط في هذه الطريقة القصص الخيالية الشعبية والقصص والملاحظات الموثوق في صحتها، وربما من أول وهلة نشك في هذا النوع من الموضوعات التاريخية، التي ربما اختلطت فيها الحقيقة التاريخية بالأسطورة، لكن خلال هذه الفترة الأخيرة، تمكن العديد من المؤرخين من تناول سير القديسين من منظور تاريخي أدبي.

Patlagean, E., "The Ancient Byzantine Hagiography and the Social History", in Stephen Wilson (ed.), Trans. Jane Hodgkin, *Saints and Their Cults: Studies in Religious Sociology Folklore and History*, (Cambridge 1983), pp. 101-122, esp. 101-102.

وفي عام ١٩٨١م صدر كتاب مهم بعنوان القديس البيزنطي The Byzantine Saint الذي احتوى على خمس مقالات مهمة، تناولت موضوعات مختلفة حول ذلك الإطار الذي يحمله العنوان، وإن كان جميعها يدور في فلك القداسة وأصولها الشرقية ودور القديس في المجتمع عبر عصوره المختلفة، إما على أساس أن القديس ممثل في السياسة السماوية وعلى نطاق كبير– من خلال القديس يوحنا الإفسوسي John of Ephesusمن القرن السادس الميلادي، الذي تمت مقارنته مع القديس يوحنا مسخوس John Moschosمن القرن السابع الميلادي – أو على أساس أن يكون القديس مثل جورو Guru الذي عايش الأرستقراطيين المحليين، أو أنه رافق الإمبراطور.

Hackel S., *The Byzantine Saint*, Universiy of Brimngham Fourtennth Symposim of Byzantine Studies(London 1981).

وفى دراستها، قيمت البروفيسور "إيفلين بلانتجين" "Evelyne Patlagean" القوة التي مارسها القديسون وتمتعوا بها، وأنه بحلول القرن العاشر أو الحادي عشر على الأقل، كان القديسون يحتلون مكانة مرموقة ومهمة في المقياس الاجتماعي، إما من خلال العائلة أو من خلال الروابط والعلاقات الخدمية.

Patlagean, E., "Sainteté et Pouvoir", in S. Hackel (ed.), *The Byzantine Saint* (New York 2001), pp. 88-105.

وفي مقال آخر عالج "روبرت براونينج"Robert Browning قضية القديسين ذوي المستوى الاجتماعي المنخفض، ووصف فيها الوضع الإجتماعي والمكانة الشعبية التي كان يتمتع بها هؤلاء القديسين في مجتمعهم أيضًا.

Browning, R., "The 'Low Level' Saint's Life in the Early Byzantine World," in S. Hackel (ed.), *The Byzantine Saint* (New York 2001), pp. 117-127.

وفى مقالة مهمة عن الرفات، خاصةً تلك التى تم اكتشافها في القرن الخامس الميلادي، فإن الدكتور هانت Dr. E.D. Hunt قد ركز على انتشار القديسين ووجودهم في كل مكان، بادئا بأول هؤلاء الشهداء وهو القديس ستيفنStephen ، وقد قيل بشكل ضمني، أن كل الرفات لم تكن بقايا حقيقية، ولكنها بقايا مزيفة. و أشار في دراسته إلى "سبعة وثلاثين رجلا" قد تمت معالجتهم بواسطة رفات القديس ستيفن.

E.D. Hunt, “The Traffic in Relics: some Late Roman Evidence E.D. Hunt", in S. Hackel (ed.), *The Byzantine Saint* (New York 2001), pp. 171-180.

ووصف البروفيسور فيرونيس Vyronis في المقال الختامي لهذا الإصدار، العصور السابقة والعصور البيزنطية والعصور ما بعد البيزنطية، وتصويرها لما يحدث فى يوم الاحتفال بالقديس، وقد وصف ذلك على أنه ذو مكانة اقتصادية ودينية، وقد نظم البرفيسور نصوصه في ضوء علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية وطرائقها.

Vryonis, S., "The Panegyris of the Byzantine Saint", in S. Hackel (ed.), *The Byzantine Saint* (New York 2001), pp.196-228.

ومع ذلك، وبغض النظر عن كل هذه المزايا السابق شرحها، فإن كتاب "القديس البيزنطي" – الصادر عام ١٩٨١م – لم يناقش دور الكتابات الهاجيوجرافية في السياق التاريخي.

(6)Hinterberger, M., “Byzantine Hagiography and its Literary Genres: Some Critical Observations”, in S Efthymiadis (ed.), *The Ashgate Research Companion to Byzantine Hagiography*: Volume II Burlington, VT:(Ashgate, 2014),pp.25-60,esp.27.

(٧) استطاعت الكنيسة من خلال هذا النوع الأدبي، الذي يطلق عليه أحيانًا أدب الشهداء أن تُمجد أعمال القديسين الذين تصدوا بشجاعة لا توصف لكافة صور الاضطهاد والعنف، للحفاظ على عقيدتهم وإيمانهم. للمزيد انظر:

H. Delehaye, *Les passions des martyrs et les genres littéraires* (Brussels: Société des Bollandistes,1966).

(٨)يقُصد بعملية نقل الرفات المقدسة: نقل الأشياء المقدسة من منطقة إلى أخرى، وعادة ما تكون مكانة أعلى وأفضل بكل تأكيد، وكان يتم التعامل مع هذه الرفات بشكل رسمي، ودائمًا ما تكون عملية النقل مصحوبة

بالعديد من الأعمال، كالاحتفالات والمواكب، وكان يلتف حولها المجتمع بأكمله، وفي العصور الوسطى كانت عملية النقل الرسمية تمثل تلك اللحظة التي يتم فيها التعرف على معجزات القديس، ومن ثم التأكد منها، وعليه يتم نقل رفات هذا القديس أو القديسة إلى موقع بارز داخل الكنيسة، ثم يُسمح بعد ذلك بالتبجيل المحلي للقديس، وهو ما عرف باسم التقديس المحلي، وتعد مدينة القسطنطنية هي المستودع الأهم للرفات المقدس الخاص بالسيد المسيح والعذراء عبر التاريخ الوسيط، لإدارك الأباطرة لأهميته.

Kinnamos, J., *Deeds of John and Manuel Comnenus*, Trans .Ch. M. Brand (New York 1976), pp. 207-208. See also: Kalavrezou, L., "Helping Hands for the Empire: Imperial Ceremonies and the Cult of Relics at the Byzantine Court", In *Byzantine Court Culture from 829 to I204*, ed. H. Maguire, Dumbarton Oaks (Washington, 2004), pp. 53–79, esp.53.

الأمين عبد الحميد أبو سعده، "التوظيف السياسى لرفات القديسين ومتعلقاتهم المقدسة في أوروبا العصور الوسطى"، مجلة كلية الآداب – جامعة المنصورة، العدد الخامس والثلاثون، (أغسطس ٢٠٠٤م)، ص٤٠٥–٤٧٥، ص٤١٠–٤١١؛ حجازي عبد المنعم سليمان، "رفات القديسين ومتعلقاتهم المقدسة وتوظيفها في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية"، حولية سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط ، عدد ٢ (مصر ٢٠١٢م)، ص٢١–٦٠، ص ٢٢.

(9)Brown, P. *The Cult of the Saints: Its Rise and Function in Latin Christianity*, Chicago, IL: University of Chicago (1981) ,pp.80-90.

(10)Nigel G. Wilson, *An Anthology of Byzantine Prose* (Berlin and New York 1971), p. 28.

(11)Rapp, C., "Storytelling as Spiritual Communication in Early Greek Hagiography: The Use of Diegesis", *JECS* 6 (1998), pp. 431-48, esp. 437; Wortley, J., "The Genre of Spiritually Beneficial Tale*", Scripta & e-Scripta* 89 (2010), pp. 71-91, esp. 71-72.

(١٢) ظهر هذا النوع الأدبي الخاص بالقصص التهذيبية في المجتمع البيزنطي منذ العصر البيزنطي الباكر، وهناك العديد من هذه القصص التهذيبية، منها على سبيل المثال: قصتان تهذيبيتان بوصفهما نوعًا فرعيًا من السرديات الأصلية، كقصة حياة بلازيوس العموري Blasios of Amorion و نيكولاس راهب دير ستوديت Nicholas of Studite. وكلتا القصتان غير مرتبطتين بالبطل الأساسي. حيث تُشير القصة الأولى إلى الراهب "يوفروسينوس Euphrosynos" الذي كان طباخًا متواضعًا في أحد الأديرة الكينوبية "cenobitic"، وترتبط القصة الثانية بقصة جندي شاب تم استفزازه جنسيا من قبل امرأة من "تراقيا Thracia" خلال الحرب بين بيزنطة وبلغاريا عام ٨١١م. وأيا كان منشأهما، إلا أنهما يدهشان القارئ من خلال تحديهما الواضح لطبيعة كتابة سير القديسين، ويجعل القارئ يتساءل عن اتجاه معين للقراءات الخفيفة والقصيرة التي تطورت في العصور الوسطى.

La Vie de Saint Blaise d'Amoriom, *B* 5 (1929-30),pp.391-414, esp.411-414. Kazhdan, Byzatine Hagiography and sex in the Fifth to Twelfth Centureies, *DOP* 44(1990), pp. 131-143 ,esp.139; Efthymiadis,S., The Byzantine Hagiographer",p.62.

وللمزيد عن القصص التهذيبية في المجتمع البيزنطي، انظر:

André Binggeli, “Collections of Edifying Stories”, In S. Efthymiadis (ed.), *The Ashgate Research Companion to Byzantine Hagiography*. Vol. II: Genres and Contexts (Farnham, Burlington, 2014), pp. 143-159.

(13)Matthews, Christopher R, "Acts of the Apostles".in Coogan, Michael D. (ed.). *The Oxford Encyclopedia of the Books of the Bible*. Oxford University Press. (2011),p.12.

(14)Hinterberger, “Byzantine Hagiography”p.36.

(15)Kaplan, Michel, and Eleonora Kountoura-Galaki. “Economy and Society in Byzantine Hagiography: Realia and Methodological Questions.” in: S. Efthymiades (ed.), *The Ashgate Research Companion to Byzantine Hagiography*, 2 vols (Farnham 2001),pp.389-406, esp.389.

(16)Philippart, G., « L’hagiographie comme littérature : concept récent et nouveaux programmes ? », *RSH* 251 (1998), pp. 11-39, esp. 25.

(17)Patlagen,E.,"Sainete et Pouvoir" pp.88-105

(١٨)تُعد دراسة إيفلين باتلاجين وتحليلها لسير القديسين هى الأكثر تفصيلًا، حيث ترى أن هناك ثلاث نماذج من سير القديسين: "الرواية:" وهي نموذج يرتبط بدراسة علاقة الإنسان بالعالم الآخر وفيما وراء الطبيعة، وقد أطلق عليه "النموذج الشيطاني"Demonic Model" : الذي يقوم فيه الشياطين بالعمل ضد القيم الأخلاقية والهجوم على البشر، والنموذج الثاني هو النموذج الكتابي الإنجيلي Scriptural Model، الذي يتناول أبعاد العلاقة ما بين البشر والعالم والشخصيات والأحداث الواردة في الإنجيل أو العهد القديم"، والنموذج الأخير هو النموذج الأخلاقي Moral Model، الذي يهتم بمجموعات الفضائل والأخلاقيات والذنوب"، ورأت إيفيلين أن تلك هي البنية الضرورية التي يجب من خلالها دراسة سير القديسين حتى يتم الاستفادة من الكم الهائل من المعلومات التي تتضمنها هذه المصادر المهمة، مع ضرورة أن يتم فهم تلك المعلومات وتوظيفها بناء على هذه النماذج الثلاثة.

Patlagean,E.," The Ancient Byzantine Hagiography and the Social History", pp.101-110.

(19)Kaplan et als. “Economy and Society in Byzantine Hagiography", p.390.

(20)Kaplan et als. “Economy and Society in Byzantine Hagiography", pp.389-90.

(21) Thomas, J. & Hero, A.C. (eds.), *Byzantine Monastic Foundation Document ,A Complete Translation of the Surviving Founders*, Typika and Testaments, Volume 1, Dumbarton Oaks, 2000.

(22)Efthymiadis, S. at als.," Audience, language and patronage in byzantine hagiography. " in: S. Efthymiades (ed.), *The Ashgate Research Companion to Byzantine Hagiography* , 2 vols(University of Fardham 2001),pp.247-72,esp.247-250.

(23)Patlagean,E.," The Ancient Byzantine Hagiography and the Social History",p3;" Wortley, J., Legends of The Byzantine Disaster of 811" *B* 50 (1980),pp. 533–562 ,esp.535.

قبل ظهور الأدب العامي البيزنطي في القرن الثاني عشر الميلادي، كانت سير القديسين في الأساس هي التى قدمت للدراسين والباحثين تفاصيل وإضافات قيمة ومهمة في اللغة اليونانية المنطوقة خلال العصر البيزنطي، وفي الحقيقة، فإن اختيار اللغة البسيطة والأسلوب المباشر كان له غرض مزدوج وهو أن يتم توجيه ذلك النوع من الأدب (سير القديسين) للجمهور غير المتعلم، وأن يتم تحقيق الانسجام مع بساطة الرسالة المسيحية.

Efthymiadis et als., "Audience, language'', p.252

في حقيقة الأمر، كان أي بيزنطي سواء كان مقيمًا في المدينة أو في الصحراء شغوفا لسماع معاناة البطل من الشهداء القديسين، كما أنه ربما يقيم الكتابات الشهيرة لآحد آباء الكنيسة، كما أن الحقائق المتناقضة للمدينة والصحراء التي سادت وهيمنت على الوضع الروحاني والثقافي على الفترة القديمة للمسيحية، وجدت تحليلا مماثلا في تكوين مجالين أدبيين متمايزين ونوعين متمايزين من الجمهور الأدبي: وهما "المتحضرون المتمدنون" و "المتدينون الواعظون". حيث أعطى النوع الأول "المتحضرون المتمدنون" "urban" ترحيبا حارا ببداية المسيحية والتواضع المسيحي في المدن الرومانية، في حين مَثَل النوع الثاني "المتدينون الواعظون" (monastic) أرضية خصبة لتطورات ما يعرف بأدب الصحراء. وهناك عامل أساسي فاصل في التقسيم بين النوعين، وهو التعليم الذى مازال يمثل امتيازا للمدنيين المتحضرين، كما أن المجتمعات الوعظية الدينية قد ظهرت ونمت لأول مرة في المجتمعات القروية وغير المتعلمة في كلٍ من مصر وفلسطين، وسوريا. وفي ضوء ذلك التمييز، فمن الممكن أن يكون الأمر معقولا أن نستنتج أن أي عمل أدبي مصاغا في اليونانية البلاغية سواء كان مسيحيا أو وثنيا، قد استهدف بشكل أساسي السكان المتعلمين في المدن، ولم يستهدف الرهبان أو الأعضاء المسيحيين العاديين في مجتمع الفترة القديمة الذين يمكن لهم تقييم الأعمال المكتوبة بلغة يونانية كنسية بسيطة وتقديرها، كما أن هذا التقسيم يمتد لينطبق على الحالة الاجتماعية والدينية للبطل القديس، حيث يكون البطريركات المقدسين، والأساقفة والرعاة للكنيسة ذوي المؤسسات الدينية الحضرية البارزة المشهورة أبطالا لسير حياة القديسين، وكقاعدة عامة، فإن البطاركة، والأساقفة ربما يتم تصويرهم والكلام عنهم في كتابات ذات أسلوب بليغ رصين، في حين أن تصوير حياة القديسين الواعظين كان يتم سرده باستخدام لغة وأسلوب بسيط.

Efthymiadis et als., "Audience, language'', pp.253-254; Mango, C., *Byzantium, The Empire of New Rome* (London 1996), pp.249-50; Sevcenko,I., *Three Byzantine Literatures. A Layman's Guide* (Brookline 1985), pp.15-18.

اتبعت كتابات سير القديسين أسلوبًا معينًا والذي شَكل استخدامًا بسيطًا لليونانية، حيث عرُضت لأول مرة في سيرة القديس أنطونيوس العظيم St.Antony the Great ، كما أنها شاعت وانتشرت في الأدب ذى العلاقة بآباء الكنيسة في العصر البيزنطى، وفضلا عن ذلك التقليد، فهناك كتابات لسير القديسين تطورت على أساس تلك الكتابات في مصر وفلسطين، التى استخدمت لغة بسيطة تعكس اللغة اليونانية المنطوقة في ذلك الوقت. كما أن طبيعتها الروائية القصصية ورونقها النثري قد راق للكثيرين في الساحة الأدبية، والتى لم تكن كنسية دينية بشكل حصري. ومن خلال اجراء مسح ومراجعة سريعة، فيمكن القول

إن سير القديسين في الفترة القديمة المتأخرة كان لها طابع الأدب الشفوي من خلال التكوين والانتقال. وفي الأساس كان كل من "ميثوديوس" و"ليو الشماس" هم من قدموا لغة أدبية جديدة في كتابات سير القديسين. وفي كتاباتهم ومؤلفاتهم المدحية التمجيدية عن شخصيات أيقونية بارزة في تلك الفترة، استخدموا نوعا قديما من اللغة اللاتينية، يتبنى في الغالب الأسلوب الهوميري، كما أن تأليف هذا النوع من الأدب وقراءته، بقى في صورة أعداد قليلة من المخطوطات التي أشارت إليها "شيفتشينكو "على أنها "كتابات سير قديسين ذات أسلوب متميز"، وكان تأليف وقراءة تلك السير لحياة القديسين مرتبطا بمنطقة العاصمة والأماكن المقدسة المجاورة لها وبالطبع، فقد كان أسلوب تلك الكتابات موجها لجمهور متعلم ومثقف.

Sevcenko ,I., Levels of Style in Byzantine Prose, *JOP* 31/1(1981):pp.289-312,esp 301-303.

وقد تأثر الأدب بالمجتمع بشكل معقد. حيث إن استخدام التراكيب والكلمات الصعبة شكل عنصرا مهمًا في الأدب كآداة اجتماعية، وقد تشكلت كثير من الأعمال الأدبية بتلك الطريقة مما جعلها بالكاد مفهومة للعديد من القراء. ومن خلال = = الكتابة بتلك الطريقة وبذلك الأسلوب؛ فقد أوضح ميثودسيوس اتجاهًا آخر مختلفًا عن سابقيه، حيث إنه – ومن خلال استهدافه لجمهور عريض من القراء والمستمعين – قام بالعديد من التعديلات الأساسية على التراكيب البسيطة واليونانية الديموطيقية في عصره. واستهدف من كتاباته عن سير حياة القديسين صفوة المتعلمين، وهم الصفوة نفسها من الجماهير التي سيطرت على المشهد الأدبي البيزنطي خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين.

Mullett, M., " Aristocracy and Patronage in the Literary Circles of Comnenian Constantiople", in: *The Byzantine Aristocracy IX to XIII Centuries*, ed. M. Angold(oxford, 1984).pp.173-201..

(24)Schulenburg, T., Jane, "Saints' Lives as a Source for the History of Women, 500-1000," in: *Medieval Women and the Sources of Medieval History*, ed. Joel T. Rosenthal (Athens: U. of Georgia, 1990) ,pp. 296.302-305; Heinzelmann,M.," Pouvoir et idéologie dans l'hagiographie mérovingienne", dans *Hagiologia*, Vol.8, F(2012) ,pp.37-58,esp.56.

(25)Catia Galatariotou's *The Making o f a Saint: The Life, Times, and Sanctification of Neophytos the Recluse* (Cambridge: 1991).p.1.

(26)Delooz,P., "Towards a Sociological Study o f Canonized Sainthood in the Catholic Church." in: *Saints and the Cults: Studies in Religious Sociology, Folklore and History*, ed. Stephen Wilson. (Cambridge U niversity Press, 1983),pp. 189-216,es p.195.

(27)Sevcenko , "Observation on the study of Byzantine", p.18

(28)Patlagean,E.," The Ancient Byzantine Hagiography and the Social History",in: ed.S.wilson ,Trans.Jane Hodgkin, *Saints and Their Cults: Studies in Religious Sociology Folklore and History*, Cambridge 1983,pp.101-22,esp.101.

(29)Hinterberger, Byzantine Hagiography, p.25.

(30)Efthymiadis et als., "Audience, language”, pp.4-7.

(31)Sevcenko, “Observations on the study of Byzantine hagiography”, p.6.

(32)Kaplan et als. “Economy and Society in Byzantine Hagiography”, pp.389-390.

لا شك في أنه يجب توخي الحذر الشديد، لتفسير هذه المعلومات بشكل صحيح، ومحاولة مقارنتها مع المصادر المعاصرة، ولحسن الحظ ، تم إجراء الدراسة النقدية لتلك السير الذاتية بشكل مثير للإعجاب، ويسمح لنا بتقدير قيمة المعلومات التي تحتويها. حول هذه الدراسات النقدية انظر:

Loparev, Vizantijskiia jitiia sviatuich VIII-1X viekov. (Vizantijskii Vremennik, XVII-XVIII, 1913-1915) *et les analyses que nous en avons données* (Journal des Savants , août et octobre 1916).

(33)Brubaker, L. and Haldon, J., *Byzantium in the Iconoclast Era, c.680–850: A History* (Cambridge 2011), p.578.

(٣٤) الأرخون: مصطلح يوناني الأصل، كان يطلق على شاغلي مناصب الدولة، وإن كان في الأصل يطلق على أعلى منصب في الدولة، ويشير إلى شخصية قوية تمتلك شكلاً من أشكال السلطة العامة، حيث كان يشار إلى كبار المسؤولين وحكام المقاطعات باسم الأرخون، وصف المؤرخون البيزنطيون الحكام الأجانب عادة بأنهم أرخونتيس، داخل بيزنطة، يمكن استخدام المصطلح للإشارة إلى أي نبيل أو قطب قوي، ولكن بالمعنى التقني ، تم تطبيقه على فئة من حكام المقاطعات، وفي القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، كانوا مسؤلين عن العديد من القواعد البحرية والمحطات التجارية، فضلاً عن المناطق التي يسكنها السلاف (sclaviniae)، وفي القرنين العاشر والثاني عشر الميلاديين تم ذكر الأرخونتيس أيضًا على أنهم حكام مدن محددة، وتم استخدام اللقب لأصحاب العديد من المناصب المالية، مثل: رئيس دار السك، وكذلك مديرو ورش العمل الإمبراطورية ، والترسانات البحرية.

Kazhdan,A., "Archontes", *ODB*, pp. 160-161 ;Rodolphe Guilland, « Études sur l'histoire administrative de l'empire byzantin : les commandants de la garde impériale, l'ἐπὶ τοῦ στρατοῦ et le juge de l'armée [archive] », *REB* , vol. 18, 1960, p. 79-96, esp.87.

وقد منحتهم الإمبراطورة ثيودورا خلال الفترة من (٧٩٧-٨٠٢م) بعض الامتيازات القضائية، حيث أدرجتهم ضمن المجموعة التي يشترط توافرهم في الشهادات القضائية، بجانب الكهنة والأثرياء.

Nikeph. Nicephorus, patriarch of Constantinople. *Short History*. Text, trans. And commentary by C. Mango (CFHB 13. Washington D.C., (1990),p.154.

وتشير الروايات المصدرية، أنهم شاركوا في الجيش البيزنطي، في رتب عسكرية عالية كجنرالات في عهد الإمبراطور ثيوفيلوس(٨٢٩-٨٤٢م) وكان لهم حضور إمبراطوري دائم.

Constantine Porphyrogenitus, *De Administrando Imperio*, I: Greek text ed. Gy. Moravcsik, Eng. trans. R.J.H. Jenkins. New revised edn (CFHB 1 = DOT 1, Washington DC, 1967); II: Commentary, ed. R.J.H. Jenkins (London, 1962), p. 154.

(35)Theoph. Theophanis Chronographia: *The Chronicle of Theophanes Confessor*, trans. C. Mango and R. Scott (Oxford, 1997),pp.668-672; Bréhier, L., "Les

populations rurales au IX e siècle d'après l'hagiographie byzantine", *B* Vol. 1 (1924), pp. 177-190, esp.179.; Marcus L. Rautman, *Daily Life in the Byzantine Empire*, (Greenwood Press, 2006) p.120.

(٣٦) وُلِد ثيوفانيس في القسطنطينية لأبوين ثريين: كان والده يسمي إسحاق حاكمًا لجزر بحر إيجه ووالدته تسمى ثيودورا. توفي والده عندما كان ثيوفانيس في الثالثة من عمره ، وتولى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس (٧٤١-٧٧٥) بعد ذلك تعليم الصبي وتربيته في البلاط الإمبراطوري، أسس ديرًا معروفًا باسم "المستوطنة الكبيرة" وحكمه باسم رئيس الدير. في هذا المنصب القيادي ، كان حاضرًا في المجلس الثاني لنيقية عام ٧٨٧م، ووقع مراسيمه دفاعًا عن تبجيل الأيقونات، عندما استأنف الإمبراطور ليو الخامس الأرمني (٨١٣-٨٢٠م) حربه على الأيقونات، أمر بإحضار ثيوفانيس إلى القسطنطينية، وحاول الإمبراطور عبثًا إقناعه بإدانة الأيقونات كما أقرها المجلس، لكنه رفض، وتم إلقاؤه في السجن، وعانى لمدة عامين من المعاملة القاسية. بعد إطلاق سراحه توفى في عام ٨١٨م ، يُنسب إليه العديد من المعجزات التي حدثت بعد وفاته.

(37)Methodius, "Life of Theophanes, ed. Vasilii Vasilievich Latyshev, in *Zapiski Rossiiskoi Akademii nauk po istoricheskomu-filogicheskomu otdeleniyu*, 8th series, vol. 13(1918) pp. 92-98; Bréhier, L., "Les populations ",p.179.

(٣٨)ولد القديس فيلاريتوس في أميني في بافلاغونيا، كان غنيًا جدًا، وينتمي إلى عائلة أرستقراطية كبيرة، ووفقًا لسيرته التي كتبها حفيده نيقيتاس، أنه كان يتمتع بالكرم، ووهب معظم ثروته إلى حفيدته ماريا الأمنية التي اختيرت لتكون رفيقة الإمبراطورة في عهد قسطنطين السادس(٧٨٠-٧٩٧م) في عروض العرائس داخل البلاط البيزنطي، وتوفي في القسطنطينية في دير كريسيس أو رودوفيليون عام ٧٩٢م. انظر:

Kashdan ,A&Nancy P. Sevicenko," Philaretos the Merciful", *ODB*,p.1650.

(39)*The Life of St Philaretos the Merciful* Written by His Grandson Niketas: A Critical Edition with Introduction, Translation, Notes, and Indices, By Rydén, Lennart, and Nicetas. (Uppsala University Library 2002) pp.61.

٤٠) *The Life of St Philaretos the Merciful* , p.61 ;*Life of Cyril Phileotes E.* *Sargologos, La Vie de S. Cyrille le Philéote*, Subsidia hagiographica 39 (Brussels 1964) ,pp.72-73.;Kaplan , M. ' L'Economie paysanne dans l'empire byzantin du Ve au X siècle ' , *Klio* 68 (1986) ,pp. 198–232.

(41)Bréhier, L., "Les populations rurales,p.181.

(42)Methodius, *Life of Theophanes*, pp. 4-5 and pp. 21-22; Ignatios the Deacon. *Life of Tarasios*, ed., Stephanos Efthymiadis, Aldershot(Ashgate 1998), c. 24, pp. 98-99.

(43)*The Life of Saint Nikon: Text, Translation, and Commentary*. Edited by Dennis Sullivan. Brookline, (Brookline, MA: Hellenic College Press, 1987),pp.198-201.

(٤٤) قديس بيزنطي وحكيم وعالم لاهوت. اشتهر بزهده المتفاني ودفاعه عن تبجيل الأيقونات، وقد قضى معظم حياته كناسك على جبل أولوداغ، بالقرب من مدينة بورصة، عاش في زمن الإمبراطور ثيوفيلوس(٨٢٩–٨٤٢م) ، وخدم في الجيش البيزنطي في سنواته الأولى قبل أن يُكرس حياته للدراسة الزهدية والتأمل الرهباني

Mango,C., "The Two Lives of St Ioannikios and the Bulgarians", *Harvard Ukrainian Studies* VII (1983) (Okeanos: Essays presented to Ihor Swevcenko),pp.393-404, esp. pp.396-400

(45) *Life of St.Ioannikios*, introduction and Translation By Denis F. Sullivam, in: *Byzantine Defenders of Images: Eight Saint's Lives in English Translation*, ed. Alice-M. Talbot, Dumbarton Oaks Research Library and Collection(Washington, D.C., 1998),pp.243-252,esp.243, 293.

(٤٦)تنحدر ثيودورا من عائلة متدينة، وهي ابنة القس أنطوان، شقيقها شماس وأختها راهبة في دير إيجينا، ماتت والدتها كريسانث عندما ولدت، ووضعها والدها مع عرّابتها آنا التي ربتها على الإيمان. كانت مخطوبة في سن السابعة، وبعد الزواج أنجبت تيودورا ثلاثة أطفال، واحد منهم فقط سيبقى على قيد الحياة. بعد وفاة شقيقها الذي قُتل خلال غارة عربية على إيجينا، غادرت ثيودورا وزوجها وابنتهما ثيوبيستوس الجزيرة متوجهة إلى سالونيك. كانت تبلغ من العمر ٢٥ عامًا تقريبًا عندما توفي زوجها (٨٣٧م). ثم ذهبت مع ابنتها إلى دير سانت إتيان لتتّبع هذه العادة الرهبانيّة.

Vincent Déroche et Corinne Jouanno, « Éducation des filles et représentations des femmes », dans Sophie Métivier (dir.), *Économie et société à Byzance (VIIIe – XIIe siècle) : textes et documents*, Publications de la Sorbonne,(2007), p. 196

(47)"Life of St. Theodora of Thessalonike " *Holy Women of Byzantium Ten Saints Lives in English Translation* ,ed. Alice-Mary Talbot Dumbarton Oaks(Washington1996).pp.159-237; Patlagean,E., "Theodora de Thessalonique: Une sainte moniale et un culte citadin (IXe–XXe siècle)," *Culto dei santi, istituzioni e classi sociali in età preindustriale*, ed. S. B. Gajano and L. Sebastiani (Rome 1984),pp.39-67; Talbot,A.MAry., "Family Cults in Byzantium: The Case of St. Theodora of Thessalonike," , *LEIMWN*: Studies Presented to Lennart Rydén on His Sixty-fifth Birthday, ed. J. O. Rosenqvist (Uppsala, 1996),pp. 49–69.

(48)*Lift of Symeon the Fool*, Lennart Ryden, (eds.), *Vie de Symeon le Fou et Vie de Jean de Chypre.* Paris: (Geuthner, 197 4).pp. 58-59

(٤٩) كان الموديوس في الأصل مقياسًا للحبوب والغلال، وهو المقياس المستخدم في معظم النصوص التي تتناول الحبوب والغلال خلال العصر البيزنطي الأوسط، ونظرًا لوجود العديد من أنواع القياس المختلفة التي يتم وزنها بالموديوي، فتوجد هنا صعوبة في قراءة القيم الخاصة بهذا القياس من خلال النصوص التاريخية، حيث يصعب استقراء وزن من أجل حساب نتائج، أي التحويل من الحبوب إلى الدقيق، ومن ثم

خلال عملية الخبز إلى الخبز، أكثر من ذلك لأن الأنواع المختلفة من الحبوب أوزانها مختلفة. كانت تزن بشكل مختلف وكانت مختلفة الكثافة ، بحيث لا تكون مقادير الشعير الكمية نفسها بالوزن للدقيق .

Haldon,J., *Warfare, State and Society in the Byzantine World, 565-1204*. (in the series Warfare and History , London, UCL Press 1999), p.281.

(50)*Les saints stylites*, ed. Hippolyte Delehaye (Subsidia hagiographica, xiv, Brussels, 1923), pp. 195-237,esp.202; Michel Kaplan, *Les hommes et la terre à Byzance du VIe au XIe siècle* (Paris, 1992),p.60

(٥١) إعفاء من أي ضريبة أو رسوم بخلاف ضريبة الأملاك الأساسية،وغالبًا ما يتم منحه للمؤسسات الدينية والخيرية، من أمثلة الإعفاء الضريبي. أن الإمبراطور قسطنطين السابع في عام ٩٤٥/٩٤٦م منح الإعفاء لدير برودروموس Prodromos at Leontia بالقرب من تسالونيك.

Oikonomides,N., *Fiscalité et exemption fiscale à Byzance (IXe-XIe s.)*, Fondation nationale de la recherche scientifique, Institut de recherches byzantines,(1996), p.156; Mark C. Bartusis, *Land and Privilege in Byzantium: The Institution of Pronoia*,(Cambridge 2012),p.76.

(52)M. Kaplan, “In search of St. Cyril's Philea", *Work and Worship at the Theotokos Evergetis, 1050–1200* ed. M. Mullett & A. Kirby (Belfast Byzantine Texts and Translations 62, Belfast 1997),pp.213–221, esp.215.

(53)Bréhier, L., "Les populations rurales ",p.185.

(54)*Saint's Theodore's Vita* in : Elizabeth Dawes and Norman H.Baynes, Three Byzantine Saints(Oxford 1984),pp.179-180

(55)*Life of Theodore of Sykeon* (BHG 1748): ed. and French tr., A.-J. Festugière, La Vie de Théodore de Sykéôn, *SH* 48 (Brussels 1970). BHG 1748 – chs. 45, 100.

(56)*Life of St Luke Stylitae*, ed . H. Delehaye , Les saints the Stylite stylites (Subsidia Hagiographica , xiv , Brussels / Paris , 1923), pp. 204, 211

(57)John Moschos, *Pratum Spirituale*, trans. John Wortley, *The Spiritual Meadow* (Kalamazoo, MI: Cistercian Publications, 1992PG 87.3056-57

(58)Vie de Saint Michel Maldinos, ed. L. Petit, *Rev. de l'Orient chritien*, vii (1902), pp. 543-94 ,esp. 563.

(59)John of Ephesos, *Lives of the Eastern Saints*," Syriac text ed. and Trans. E.W.Brooks, *Patrologia Orientalis* 17(Paris 1923)p.109.

(60)Harry J Majoulias, The Lives of The Saints as Sources For Byzantine Agrarian Life in The Sixth and Seventh Centuries, *GOTR* , Vol.35, No.1, 1990, pp.59-70, esp.59.

(61) Ibid,p.63

(٦٢) مجتمع رهباني في المسيحية الشرقية يسمح بالعزلة النسبية للرهبان. ولكنه يسمح بالخدمات المجتمعية وسلامة الموارد المشتركة والحماية، إنها واحدة من أربعة أنواع من الرهبانيات المبكرة ، جنبًا إلى جنب مع الأرميت، واللافريتيك ، والرهبان، التي أصبحت شائعة خلال التكوين المبكر للكنيسة المسيحية.

Harmless, William, *Desert Christians: An Introduction to the Literature of Early Monasticism*, (Oxford, 2004):pp. 169-181.

(63) Harry J Majoulias, *The Lives of The Saints as Sources For Byzantine Agrarian Life in The Sixth and Seventh Centuries, GOTR*, Vol.35, No.1, 1990, pp.59-70,p.63

(64)Majoulias, *The Lives of The Saints as Sources For Byzantine Agrarian Life "* p.68.

(65)*Life Saint Theodore of Sykeon*, pp.429-31

(66)*The Life of Saint Nikon:* p.57.

(67)Gregory the Cellarer ,*The Life of Lazaros of Mt. Galesion*: An Eleventh-Century Pillar Saint. Introduction, Translation and Notes, by Richard P.H. Greenfield (Washington 2000),p.70.

(68)Kaplan, M., "L'activité pastorale dans le village byzantin du viie au xiie siècle", in *Animals and Environment in Byzantium (7th–12th c.)* ed. illas anagnostakis, Taxiarchis G. Kolias, and Eftychia Papadopoulou (Athens 2011):pp.407-420, esp.407−8.

(69)Kazhdan,A., " The Peasantry , " in: *The Byzantines* , ed . Guglielmo Cavallo (Chicago : University of Chicago Press , 1997) , : pp. 43-73, sep. 54; Life of Paul of Latros, ed H. Delehaye, "Vita S. Pauli Iunioris in Monte Latro Cum interpretatione Latina Iacobi Sirmondi" *AB* 11 (1892) p.30.

هذه الحيوانات تساوي أضعاف سعر الخروف أو الخنزير. تبلغ قيمة الأبقار حوالي ثلاثة نوميزمات؛ يمكن شراء ستة أغنام بنوميزماتا واحدة، أي أقل بثمانية عشر مرة ؛ يقع الخنزير بينهما، ويمثل ثلثي نوميزماتا إلى نوميزماتا بأكمله. ويُظهر في تاريخ كيناموس أنه قلل بشكل كبير من قيمة الماشية، نسبة واحد إلى ثلاثة عشر بين البقر والأغنام، ومع ذلك، فإن سعر البقرة لا تساوي أكثر من سعر حمار، في حين أن البغل الصغير أو حصان الجر كان يساوي اثني عشر نوميزماتا، ومن الواضح أن حصان الحرب أكثر من ذلك بكثير.

J.-Cl. Cheynet – C. Morrisson, Prices and wages in the Byzantine world in A. Laiou (éd.), *Economic History of Byzantium*, (Washington DC 2002), Vol. 2,pp. 839-841

(70)Life of Sts. David, Symeon, and George of Lesbos, Trans. Dorothy Abrahamse and Douglas Domingo-Foraste in: *Byzantine Defenders of Images, Eight Saints 'Lives in English Translation*, ed. Alice M. Talbot, *Byzantine Saints' Lives in Translation*(Washigton, D.C. 1998,):pp.143-242, esp.209

(71)*The Life of Lazaros of Mt. Galesion*, p.141.

(72)*The Life of Lazaros of Mt. Galesion*, p.244.

(73)*The Life of St Philaretos* , pp.72-74

(٧٤) وحدة عسكرية من قوات الحرس الإمبراطوري، أسسها الإمبراطور ليو الأول (٤٥٧-٤٧٤م) في عام ٤٦٠م، وكان عددهم ٣٠٠ رجل، وغالبًا ما يتم تجنيدهم من منطقة أيسوريا في اسيا الصغرى، وكانت هذه

الفرقة تشكل جزءًا رئيسًا من حرس القصر الإمبراطوري، وكان علي هذه الفرقة حراسة القصر، والخدمة كجند في المواكب الرسمية، وكان افرادها يصحبون الإمبراطور في الحرب ، ويكونون فرقة احتياطية.

طارق منصور،" الحرس الإمبراطوري البيزنطي: من القرن السابع إلى القرن التاسع الميلادى، منشور ضمن كتاب: بيزنطة: مدينة الحضارة والنظم(دراسات وبحوث)، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠١٥، ص١٨٣–٢٠٣٠، ص١٩٧–١٩٨.

Treadgold, W.. *Byzantium and Its Army, 284–1081*. (Stanford University Press 1995), pp.13-14

(75)Vie de Iôannikios par Pierre (BHG 936), éd. J. van den Gheyn, Acta Sanctorum Novembris, IV .2, (Bruxelles 1894),c. 5-7,p. 387.

(76)*The Life of St Philaretos*,p.72.

(77)Kaplan, M., L'activité pastorale dans le village byzantin du viie au xiie siècle,p.412. Kaplan, *Les hommes et la terre*, 195.

(78) *Vie d'Eustratios des Agaures* (BHG 645), éd. A. Papadopoulos-Kérameus, *'Ανάλεκτα Ἰεροσολυμιτικῆς Σταχυολογίας* 4, Bruxelles 1963 (Saint-Pétersbourg 1897), c. 25,p.384.

(79)*Life of Phantinos the Younger*, ed. E. Follieri, La vita di san Fantino il Giovane [Subsidia hagiographica 77], (Brussels 1993), pp.12,24

(80)*Life of Phantinos the Younger*, pp.12,24

(81)*The Life of Lazaros of Mt. Galesion*, p.342.

(82)*Life of Lazaros of Mt. Galesion*,pp. 91-92.

(٨٣) عُرف أيضًا باسم أثناسيوس من طرابزون، كان راهبًا بيزنطيًا أسس المجتمع الرهباني على جبل آثوس، وكان شخصية غير عادية للغاية في سيرة القديسين البيزنطيين. وهو على عكس غيره من كتاب القداسة، لم يتوان عن إبداء آرائه الصريحة حول عدد من الموضوعات. وتشير تعليقاته إلى أهمية التعلم والعلاقة بين الإمبراطور والقانون بحكم ماضيه كقاضي في البيروقراطية الإمبراطورية. وعلى النقيض من ذلك، فإن رفضه للتصوف والزهد المتطرف يتماشى مع حركة الإصلاح الرهباني في العصر البيزنطي الأوسط. ومع ذلك وعلى عكس مؤلفي القواعد الرهبانية، فهو لا ينتقد المتصوفين والزاهدين، ولكنه يفضل السخرية منهم من خلال التلاعب بالألفاظ.

Krausmüller,D.," Athanasius, the Author of Vita A of Athanasius the Athonite, on Secular Education, Legal Theory, Mysticism and Asceticism", *JOB* 67/2017,pp.65-80

(84)*Life A of Athanasios by Athanasios of Panagiou* (BHG 187): ed. J. Noret, Vitae duae antiquae sancti Athanasii Athonitae, *CCSG* 9 (Turnhout 1982), 3–124; also 128-213; P. Lemerle, « La vie ancienne de saint Athanase l'Athonite compoée au début du XIe siècle par Athanase de Lavra », Le millénaire du Mont Athos (963-1963). Etudes et Mélanges, Wetteren, Ed. de Chevetogne, (1963), pp. 59-100.

(85)*Life A of Athanasios by Athanasios*,188 Ch.35

(86) *La Vie de Théodore de Sykéôn*, pp.56-57

(87)Ousterhout, R., *Master Builders of Byzantium*, UPenn Museum of Archaeology (2008) ,p.42

(88)*Life of St.Ioannikios*, p.298

(89)*La Vie de Théodore de Sykéôn*, p.48

(٩٠) راهب قبرصيً يوناني، ولد جورج في قبرص، و تيتم في سن مبكرة، نشأ في دير تحت رعاية أحد أعمامه، أسس دير خوزيبا –نسبة إلى اسمه– بجوار القدس، وعندما غزا الفرس فلسطين ونهبوا القدس عام ٦١٤م، بقى هو ورهبانه داخل دير خوزيبا.

Joseph Patrich, *Sabas, Leader of Palestinian Monasticism: A Comparative Study in Eastern Monasticism, Fourth to Seventh Centuries* (Dumbarton Oaks, 1995), p. 263; C. House, ed. "Vita Sancti Georgii Chozebitae Confessoris et Monachii", *AB* 7 (1888): 95–144, 336–359; Hinterberger,M., "The Byzantine Hagiographer and His Text", in Stephanos Efthymiadis, ed., *The Ashgate Research Companion to Byzantine Hagiography*, Volume II: Genres and Contexts (Ashgate, 2014), pp. 221–22.

(91)Vita S.Georgii Chozebitae, ed.C.Houze *AB* 7(1888), 97–114, 336–359,esp.125; H. J. Magoulias " Trades and Crafts in the Sixth (6th) and Seventh (7th) Centuries as Viewed in the Lives of the Saints", *Byzantinoslavica* 37(1976),pp.11-36,esp.16.

(92)*The Life of Lazaros of Mt. Galesion*, pp.119,140.

(٩٣) بطريرك القدس خلال الفترة من ٦٣٤م وحتي وفاته في عام ٦٣٨م، ، كان راهبًا وعالمًا لاهوتيًا، ولد في دمشق، وترجح الأراء أنه من أصل يوناني بيزنطي، في حين يرى بعضهم الأخر أنه من أصل سرياني، ترهبن في مصر، والتحق بدير القديس ثيودسيوس، سافر إلى المراكز الرهبانية في آسيا الصغرى ومصر وروما ، رافق المؤرخ البيزنطي القديس يوحنا موسخوس ، الذي كرس له كتابه الشهير عن الحياة الدينية.

Chisholm, Hugh, ed. "Sophronius" . *Encyclopædia Britannica* 25 (11th ed.)(Cambridge University Press 1911). p. 429.

(94)*Miracula S. Cyril et Iohannis*: Sophronii Monachi Sophistae Narratio Miraculorum ss.Cyri et Iohannis Sapientum Anarggrorum, ed.Angelo Mai in Spicilegium Romanum , (Rome),pp.469-473; H. J. Magoulias " Trades and Crafts in the Sixth (6th) and Seventh (7th) Centuries as Viewed in the Lives of the Saints, p.16

(95)*The Life of Lazaros of Mt. Galesion*, p.165.

(96)*La Vie de Théodore de Sykéôn*,pp.109-110.

(97)*Life of the Patriarch Nikephoros I of Constantinople*, Trans. Elizabeth A. Fisher, in Byzantine Defenders of Images, Eight Saints 'Lives in English Translation, ed. Alice M. Talbot, Byzantine Saints' Lives in Translation(Washigton, DC1998,), pp.25-142,esp.91-92.

(98)*La Vie de Théodore de Sykéôn*,pp.25-26.

(99)St.Artemios, *The Miracles of St. Artemios*: A Collection of Miracle Stories by an Anonymous Author of Seventh-Century Byzantium, Trans. V. S. Crisafulli, Leiden-New York- Koln (1997),p.149, 261; Magoulias " Trades and Crafts ",p.22.

(100)*Lift of Basil the Younger,* Life of Basil the Younger (BHG 263-264): "Vie de Basile le Jeune clans Moscou gr. 249," fol. 2-66; S. G. Viliskij, ed. Odessa: Zapiski Imperatorskogo fol. 28v-29v, 39ff.

(101)*La Vie de Théodore de Sykéôn*,pp.5-6.

(102)*Life of John The Almsgiver*, Trans E.Dawes and N.H. Baynes. *Three Byzantine Saints*,(Oxford 1977),pp.220, 230-231

(103)*The Life of Lazaros of Mt. Galesion*, p.15

(104)*The Miracles of St. Artemios*,p.129

(105)*The Miracles of St. Artemios*,p.129; Magoulias " Trades and Crafts ", p.25.

(106)Cavallo,G., *The Byzantines*, (University of Chicago Press1997),p.56.

(107)Rapp , C.,*Brother-Making in Late Antiquity and Byzantium: Monks, Laymen, and Christian Ritual* (Oxford: Oxford University Press 2016),p.19; J. Nesbitt and J. Wiita, “A Confraternity of the Comnenian Era,” *BZ* 68 (1975), 360–84.

(108)*Life of John The Almsgiver*, pp.228-229.

(109)J. B. Pitra, Iuris ecclesiastici Graecorum historia et monumenta, 2 vols. (Rome: Typis Collegii urbani, 1 868), 2:323

نقلًا عن:

Angeliki E . Laiou " Trade, Profit, and Salvation in the Late Patristic and the Byzantine Period", in: *Wealth and Poverty in Early Church and Society*. Edited by S. R. Holman, Baker Academic (2008), pp.243-266,esp.261.

(110)*La vie de saint Grégoire le Décapolite et les Slaves macédoniens au IX. Siècle*, ed. E. Dvornik, (Paris 1916), p.55.

(111)Angeliki E . Laiou " Trade, Profit, ", pp.258-259; N. A. Bees, "Vie de Saint Theoclete eveque de Lacedemone;' *Revue byzantine*, suppl. to vol. 2 (1 9 1 6): 35ff.

(112)Angeliki E . Laiou " Trade, Profit, "p.260

(113) Halkin, F., *Hagiologie byzantine* (Brussels: Societe des Bollandistes, 1986) ,pp. 175-76

(١١٤) وُلد في القسطنطينية من عائلة متوسطة الحال، وقد حمل الاسم التعميدي قسطنطين، وتلقى تعليما راقيًا، وتعلم الثقافة اليونانية كما درس الفلسفة الأفلاطونية الحديثة واشتهر كفيلسوفًا وليس كعالم دين ،وقد بدأ ميخائيل بسللوس حياته الوظيفية سكرتيرًا في البلاط البيزنطي في عهد الإمبراطور ميخائيل الخامس (١٠٤١–١٠٤٢م)، ثم بلغ ذروة حياته العلمية في عهد الإمبراطور قسطنطين العاشر (١٠٥٩–١٠٦٧م)، وابنه ميخائيل السابع دوقاس (١٠٧١–١٠٧٨م) الذي كان ميخائيل بسللوس معلما له، ويُعد بسللوس رائدًا

للحياة الثقافية والفكرية في الإمبراطورية البيزنطية خلال القرن الحادي عشر الميلادي، وشملت مؤلفاته عددًا من الموضوعات المتنوعة .

طارق منصور، قطوف من الفكر البيزنطي، الجزء الأول، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٩ ؛ محمد زايد عبد الله، *دراسة في مصادر العصور الوسطى (التاريخ البيزنطي)*، دار مصر العربية، القاهرة، ٢٠١٥م، ص ٥٢-٥٥.

Kazhdan, A., "Psellos, Michael" , *ODB* , pp. 1754-55

Moutafakis ,N .J., *Byzantine Philosophy*, Hackett Publishing, (2003), p.129

(115)Michaelis Pselli, *Orationes hagiographicae*, ed. E. A. Fisher (Stuttgart: Teubner, 1994), p. 1 9.

(116)*The Life of Michael the Synkellos*, ed. and trans Mary B . Cunningham, (Belfast: Belfast Byzantine Enterprises, Queen's University of Belfast, 1991),pp. 48-49.

(117) *Life of St. Mary the Younger* Trans. Angeliki E . Laiou, trans, in: *Holy women of Byzantium : ten saints' lives in English translation*(Washington, DC: Dumbarton Oaks Research Library and Collection, 1 996),pp. 258, 266.

(118)*Life of St. Nikon*, pp. 28-30.

(119)*Life of John the Almsgiver*,p.217

(120)*Life of John the Almsgiver*,p.217

(121)Harry J. Magoulias,"The Lives Of The Saints as Sources of Data For The History of Commerce in the Byzantine Empire in The 6th century · 7th century", *Kleronomia* 3 (B) (1973) ,pp. 303-330,esp319-320.

(122)*Life of John the Almsgiver*,p. 217

(123) *Life of John the Almsgiver*,p.240.

(124) *Life of John the Almsgiver*,p.236

(١٢٥)هي ممارسة وثنية الأصل، وتتمثل في لجوء المرضى إلى مجاورة المعبد، خاصة معبد أسكليبيوس، للحصول على العلاج المقدس من خلال تجلي الإله لهم في رؤى منامية، من شأنها أن تحقق لهم العلاج مباشرة أو إسداء المشورة بشأن الأدوية والعلاج اللازم، واعتُبر هذا الطقس رسائل من الله في المسائل الطبية. حيث يمضون ليلة داخل المعبد حتى يزورهم الإله أو أتباعه و مريديه المخلصون في منامهم، وعند الاستيقاظ يجد الحجاج أنفسهم قد شفوا من معاناتهم وآلامهم. واستمر هذا الطقس في العصر البيزنطي مع الفارق أنه كان يتم في الكنائس والأضرحة الخاصة بالشهداء والقديسين. وفي هذا الطقس اعتقد المرضى –تماما كما اعُتقد قديمًا في معبد إسكليبيوس–في أن وجودهم الدائم بالقرب من الكنيسة التي دفن فيها القديس أو المزار الخاص به قد يمنحهم فرصة تجلي أولئك القديسين لهم في رؤى منامية، ومن ثم القيام بالإجراءات اللازمة لعلاجهم، بما في ذلك التدخل الجراحي.

Cilliers, L.& Retief, F. Pieter," Dream Healing in Asclepieia in the Mediterranean" in: *Dreams, Healing, and Medicine in Greece* ,ed. Steven M. Oberhelman(Ashgate

2013),pp.69-92,esp.69; Delehaye, H. "Les recueils antiques de miracles des saints," *AB* 43(1925), pp.305–25; Constantinou,S.," The morphology of healing dreams: dream and therapy in Byzantine collections of miracle stories", in: *Dreaming in Byzantium and Beyond*, ed. George T. Calofonos (Ashgate 2014),pp.21-34,esp.25

(126)*The Miracles of St. Artemios* , p.85 ; Kaplan, Michel, and Eleonora Kountoura-Galaki. "Economy and Society in Byzantine Hagiography." ,p.392.

(127)*The Miracles of St. Artemios* , p.185

(128)*Life of Nicholas ofSion (BHG* 1347): Ihor Sevcenko and Nancy Petterson Sevcenko,
The Life of St. Nicholas of Sion. Brookline, Mass.: Hellenic College Press, 1984, pp.8-9

(129)*The Life of Saint Nikon*, pp.250-251.

(130)*The Miracles of St. Artemios* , p.153

(١٣١)كانت بمثابة أموال مخصصة فقط لشراء حصص من الغلال، كذلك أطلقت للإشارة على الحصص العينية كالإعاشة(كحصص الطعام أو المؤن أو الغلال وغيرها).

mark c. bartusis, *Land and Privilege in Byzantium The Institution of Pronoia*.,Cambridge (2012),p.278;Norvin, W., *Classica Et Mediaevalia*, Librairie Gyldendal(1993), p.78

(132)Theodosios Goudelēs, *The Life of Leontios, Patriarch of Jerusalem*, (Brill1993) ,p.193.

(133) Magoulias,"The Lives Of The Saints as Sources", p.309.

(134)R.S.Lopes,"Silk Industry in The Byzantine Empire", *Sp* Vol. 20, No. 1 (Jan., 1945),pp.1-42,esp.12

(135)Harry J. Magoulias "The Lives Of The Saints as Sources ",p.308.

(136)*Life of John The Almsgiver*, p.239

(137)*Life of John The Almsgiver*, p.205

(138)John Moschos, *The Spiritual Meadow*, pp.66-67

(139)John Moschos, *The Spiritual Meadow*, p.164.

(140)*The Life of Lazaros of Mt. Galesion*, p.146.

(141)*The Life of Lazaros of Mt. Galesion*, p.335.

(142)*Life ofG eorge ofA mastris (BHG* 668): "Zhitie S. Georgia amastriskago." In V. G. Vasil'evskij, *Trudy.* Vol. 3. Petrograd, (1915), pp. 1-71.,esp.33.

قائمة المختصرات

AB Analecta Bollandiana
B Byzantion
BF Byzantinische Forschungen
BZ Byzantinische Zeitschrift
CCSG Corpus Christianorum Series Graeca
DOP Dumbarton Oaks Papers
ed. A. P. Kazhdan et al. (3 vols.) New York (1991).
GOTR Greek Orthodox Theological Review
H Hagiographica
JECH Journal of Early Christian Studies
JOB Jahrbuch der Österreichischen Byzantinistik
ODB Oxford Dictionary of Byzantium,
RSH Revue des sciences humaines
S Speculum
SH Subsidia Hagiographica
UT Unclassical traditions

أولاً: سير القديسين" الهاجيوجرافية " :

Gregory the Cellarer, *The Life of Lazaros of Mt. Galesion*: An Eleventh-Century Pillar Saint. Introduction, Translation and Notes by R. P.H. Greenfield (Washington, 2000).

Ignatios the Deacon. Life of Tarasios, trans and ed. S. Efthymiadis (Ashgate, 1998).

John Moschos, *Pratum Spirituale*, trans. J. Wortley, *The Spiritual Meadow* (Kalamazoo, MI: Cistercian Publications, 1992).

John of Ephesos, Lives of the Eastern Saints, Syriac Text ed. and Trans. E.W.Brooks, Patrologia Orientalis 17 (Paris, 1923).

La Vie de Saint Blaise d'Amoriom, *B* 5 (1929-1930), pp. 391-414.

La vie de saint Grégoire le Décapolite et les Slaves macédoniens au IX siècle, ed. E. Dvorni (Paris 1916).

Les saints stylites, ed. H. Delehaye, In *Les saints stylites*, Subsidia Hagiographica xiv (Brussels, 1923), pp. 195-237.

Life of Athanasios by Athanasios of Panagiou (BHG 187), ed. J.

Noret, Vitae duae antiquae sancti Athanasii Athonitae, *CCSG* 9 (Turnhout, 1982).

Life of G eorge of Amastris (BHG 668): "Zhitie S. Georgia amastriskago." In V. G

Life of John The Almsgiver, Trans E. Dawes and N. H. Baynes. Three Byzantine Saints (Oxford, 1977).

Life of Mary of Egypt, Trans. M. Kouli, In Holy *Women of Byzantium: Ten Saints' Lives in English Translation*, ed. A. M. Tabot (Dumbarton Oaks, 1996), pp.70-79.

Life of Paul of Latros, ed. H. Delehaye, "Vita S. Pauli Iunioris in Monte Latro Cum interpretatione Latina Iacobi Sirmondi" *AB* 11 (1892).

Life of Phantinos the Younger, ed. E. Follieri, La vita di san Fantino il Giovane [Subsidia Hagiographica 77] (Brussels 1993).

Life of St Luke Stylitae, ed. H. Delehaye, Les saints stylites (Subsidia Hagiographica, xiv, Brussels et Paris, 1923).

Life of St. Mary the Younger, Trans. A. E . Laiou, *In Holy Women of Byzantium: Ten Saints' Lives in English Translation* (Washington, D.C., Dumbarton Oaks Research Library and Collection, 1996).

Life of St. Theodora of Thessalonike, *Holy Women of Byzantium Ten Saints Lives in English Translation*, ed. A.M Talbot, Dumbarton Oaks (Washington, 1996), pp.159-237.

Life of St.Ioannikios, introduction and Translation by D. F. Sullivam, In *Byzantine Defenders of Images: Eight Saint's Lives in English Translation*, ed. A-M. Talbot, Dumbarton Oaks Research Library and Collection (Washington, D.C., 1998), pp. 255-355.

Life of Sts. David, Symeon, and George of Lesbos, Trans. D. Abrahamse and D. Domingo-Foraste, In *Byzantine Defenders of Images: Eight Saints' Lives in English Translation*, ed. A-M. Talbot, Byzantine Saints' Lives in Translation (Washington, D.C., 1998), pp. 143-242.

Life of the Patriarch Nikephoros I of Constantinople, Trans. E. A. Fisher, In *Byzantine Defenders of Images*: Eight Saints' Lives in English Translation, ed. A-M. Talbot, Byzantine Saints' Lives in Translation (Washington, D.C., 1998), pp. 25-142.

Life of Theodore of Sykeon (BHG 1748): ed. and French trad. A.-J. Festugière, La Vie de Théodore de Sykéôn, *SH* 48 (Brussels 1970). BHG 1748 .

Lift of Symeon the Fool, ed. L. Ryden, *Vie de Symeon le Fou et Vie de Jean de Chypre* (Paris, 1974).

Mango, C., "The Two Lives of St Ioannikios and the Bulgarians", *Harvard Ukrainian Studies* VII (1983) (Okeanos: Essays presented to Ihor Swevcenko), pp.393-404.

Methodius, Life of Theophanes, ed. V.V. Latyshev, In *Zapiski Rossiiskoi Akademii nauk po istoricheskomu-filogicheskomu otdeleniyu*, 8th series, Vol. 13 (1918), pp. 1-40.

Michaelis Pselli, *Orationes Hagiographicae*, ed. E.A. Fisher (Stuttgart: Teubner, 1994).

Norvin, W., Classica Et Mediaevalia, Librairie Gyldendal (1993).

Saint's Theodore's Vita, In E. Dawes and N. H. Baynes, *Three Byzantine Saints* (Oxford 1984).

St.Artemios, The Miracles of St. Artemios: A Collection of Miracle Stories by an Anonymous Author of Seventh-Century Byzantium, Trans. V. S. Crisafulli, Leiden-New York- Koln 1997).

The Life of Michael the Synkellos, ed. and Trans. M.B. Cunningham, The Life of Michael the Synkellos (Belfast: Belfast Byzantine Enterprises, Queen's University of Belfast, 1991).

The Life of Saint Nikon, Text, Translation, and Commentary. Edited by D. Sullivan (Brookline, Hellenic College Press, 1987).

The Life of St Philaretos the Merciful, Written by His Grandson Niketas: A Critical Edition with Introduction, Translation, Notes, and Indices by L. Rydén (Uppsala University Library 2002).

The Life of St. Nicholas of Sion. Ed. I. Sevcenko and N.P. Sevcenko (Brookline: Hellenic College Press, 1984).

Theodosios Goudelēs, The Life of Leontios, Patriarch of Jerusalem, (Brill 1993).

Vie d'Eustratios des Agaures (BHG 645), éd. A. Papadopoulos-Kérameus, *'Ανάλεκτα Ἱεροσολυμιτικῆς Σταχυολογίας* 4, Bruxelles 1963 (Saint-Pétersbourg 1897).

Vie de Iôannikios par Pierre (BHG 936), éd. J. van den Gheyn, Acta Sanctorum Novembris, IV .2 (Bruxelles 1894).

Vie de Saint Michel Maldinos, ed. L. Petit, *Rev. de l'Orient chritien*, vii (1902), pp. 543-94.

Vita S.Georgii Chozebitae, ed. C. Houze, *AB* 7 (1888), pp. 97–114, 336–359.

ثانياً: المصادر الأدبية:

Constantine Porphyrogenitus, De Administrando Imperio, I: Greek text ed. G. Moravcsik, Eng. trans. R.J.H. Jenkins. New revised edn (CFHB 1 = DOT 1, Washington D.C., 1967); II: Commentary, ed. R.J.H. Jenkins (London, 1962).

John Kinnamos, *Deeds of John and Manuel Comnenus* , Trans .Ch. M. Brand (New York 1976).

Nikeph. Nicephorus, Patriarch of Constantinople. *Short History*. Text, trans. And commentary by C. Mango (CFHB, ser. Washingtoniensis 13 = DOT 10. Washington D.C., (1990).

Theophanes Confessor, The Chronicle of Theophanes Confessor, trans. C. Mango and R. Scott (Oxford, 1997).

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

Bartusis, M.C., *Land and Privilege in Byzantium The Institution of Pronoia*, Cambridge (2012).

Bréhier, L., "Les populations rurales au IX e siècle d'après l'hagiographie byzantine", *B*, Vol. 1 (1924), pp. 177-190.

Brown, *P. The Cult of the Saints: Its Rise and Function in Latin Christianity,* Chicago, IL: University of Chicago (1981).

Browning, R., "The 'Low Level' Saint's Life in the Early Byzantine World," In S. Hackel (ed.), *The Byzantine Saint*, (New York, 2001), pp.117-127.

Browning, R., "The Language of Byzantine literature", In S. Vryonis (ed.), The ' Past ' in: *Medieval and Modern Greek Culture*, (Malibu 1978).

Brubaker, L. and Haldon, J., Byzantium in the Iconoclast Era, c.680–850 (Cambridge, 2011).

Cavallo, G., The Byzantines, (Chicago: University of Chicago Press, 1997).

Cheynet, J.C. and Morrisson, C., "Prices and wages in the Byzantine world", In A. Laiou (ed.), Economic History of Byzantium (Washington D.C., 2002).

Clancy, J.B., *Beyond Parochial Faith: A Catholic Confesses*. Wipf and Stock Publishers (2019).

Constantinou, S., "The morphology of healing dreams: dream and therapy in Byzantine collections of miracle stories", in:

Dreaming in Byzantium and Beyond, ed. George T. Calofonos (Ashgate 2014),pp.21-34.

Dagron, G., "L'ombre d'un doute L'hagiographie en question, VI-XI Siecle", *DOP*, Vol. 46 (1992), pp. 59-68.

Delehaye, H., "Les legendes bagiograpbique, 3rd ed. (Bruxelles: Société des Bollandistes, 1927). Translated by V.M. Crawford as The Legends of the Saints (University of Notre Dame, 1961). Also, L'Ancienne Hagiograpbie Byzantine (Bruxelles: Société des Bollandistes, 1991).

Delehaye, H., "Les recueils antiques de miracles des saints," *AB* 43(1925), pp. 305-325.

Delehaye, H., *Cinq leçons sur la methode hagiographique* [=Subsidia hagiographica 21] (Brussels, 1934).

Delehaye, H., *Les passions des martyrs et les genres littéraires* (Brussels: Société des Bollandistes, 1966).

Delooz, P., "Towards a Sociological Study o f Canonized Sainthood in the Catholic Church." In: Saints and the Cults: Studies in Religious Sociology, Folklore and History, ed. Stephen Wilson. (Cambridge U niversity Press, 1983).

Déroche, V. et Jouanno, C., "Éducation des filles et représentations des femmes", dans Sophie Métivier (dir.), *Économie et société à Byzance (VIII^{e} – XII^{e} siècle): textes et documents*, Publications de la Sorbonne (2007).

Efthymiadis, S. et als., "Audience, language and patronage in byzantine hagiography. " in: S. Efthymiades (ed.), *The Ashgate Research Companion to Byzantine Hagiography*, 2 vols(Farnham 2001), pp.247-272.

Efthymiadis, S., "Byzantine hagiographer and his audience in the ninth and tenth centuries", in Metaphrasis: Redactions and Audiences in Middle Byzantine Hagiography, ed. Christian Høgel (Oslo, 1996), 78-80, No. 59 (1996) pp. 59–80.

Efthymiadis, S., "New Developments in Hagiography: the Rediscovery of Byzantine hagiography", in Proceedings of the 21st International Congress of Byzantine Studies, London 21-26 August 2006, Vol.I, plenary ppers, ed.Elizabeth Jeffreys (Aldershot 2006), pp.157-171.

Galatariotou, C., The Making of a Saint: The Life, Times, and Sanctification of Neophytos the Recluse (Cambridge: 1991).

Guilland, R., “Études sur l'histoire administrative de l'empire byzantin: les commandants de la garde impériale, l'ἐπὶ τοῦ στρατοῦ et le juge de l'armée [archive]”, *REB*, vol. 18, 1960, pp. 79-96.

Hackel, S., *The Byzantine Saint*, (New York, 2001).

Haldon, J., Warfare, State and Society in the Byzantine World, 565-1204. (in the series Warfare and History, London, UCL Press 1999).

Hatlie, P., *The Monks and Monasteries of Constantinople, Ca 350-850*, (Cambridge, 2007).

Heinzelmann, M., "Pouvoir et idéologie dans l’hagiographie mérovingienne", *Hagiologia* Vol. 8 (2012), pp. 37-58.

Hinterberger, M., “Byzantine Hagiography and its Literary Genres: Some Critical Observations”, in S. Efthymiadis (ed.), *The Ashgate Research Companion to Byzantine Hagiography*: Volume II Burlington, VT: Ashgate, 2014), pp.25-60.

Hunt, E.D., “The Traffic in Relics: some Late Roman Evidence E.D. Hunt", In S. Hackel (ed.) *The Byzantine Saint*, (New York, 2001), pp.171-180.

Jones, A.H.M, The Later Roman Empire, 284-602: A Social Economic and Administrative Survey, Vol II. (Oxford 1964).

Kalavrezou, L., ‘‘Helping Hands for the Empire: Imperial Ceremonies and the Cult of Relics at the Byzantine Court', Byzantine Court Culture from 829 to I2o4, ed .H .Maguire, (Dumbarton Oaks: Washington 2004), pp. 53–79

Kaldellis, A., “The Hagiography of Doubt and Skepticism”, In S. Efthymiades (eds.), The Ashgate Research Companion to Byzantine Hagiography, Vol. 2 (Ashgate 2014), pp. 453-477.

Kaplan, M., "L'Economie paysanne dans l'empire byzantin du Ve au X siècle", *Klio* 68 (1986) ,pp. 198–232.

Kaplan, M., “In search of St. Cyril's Philea", In Work and Worship at the Theotokos Evergetis, 1050–1200, ed. M. Mullett & A. Kirby (Belfast Byzantine Texts and Translations 62, Belfast 1997), pp. 213–221.

Kaplan, M., “L'activité pastorale dans le village byzantin du viie au xiie siècle", In *Animals and Environment in Byzantium (7th–12th c.)* ed. I Anagnostakis et als. (Athens 2011), pp.407-420.

Kaplan, M., and Galaki, E.K., “Economy and Society in Byzantine

Hagiography: Realia and Methodological Questions." In: S. Efthymiades (ed.), *The Ashgate Research Companion to Byzantine Hagiography*, 2 vols (Farnham 2001),pp. 389-406.

Kaplan, M., *Les hommes et la terre à Byzance du VIe au XIe siècle* (Paris, 1992).

Khazdan, A., "The Peasantry", In *The Byzantines, ed. G.* Cavallo (Chicago: University of Chicago Press, 1997), pp. 43-73.

Khazdan, A., "Byzatine Hagiography and sex in the Fifth to Twelfth Centureies", *DOP* 44 (1990), pp. 131-143.

Khazdan, A.,"Hagiography", *ODB*, ed. A. P. Kazhdan et *als. (3 Vols.)* New York (1991): vol. I, pp. 897-899.

Laiou, A.E., "Trade, Profit, and Salvation in the Late Patristic and the Byzantine Period", In Wealth and Poverty in Early Church and Society. Edited by S. R. Holman, Baker Academic (2008).

Magdalino, P., "Holy Man in the Twelfth Century", In S. Hackel (ed.), *The Byzantine Saint*, (New York, 2001), pp. 51-66.

Magoulias, H.J., "The Lives of The Saints as Sources of Data For The History of Commerce in the Byzantine Empire in The 6th century and 7th century", *Kleronomia* 3B (1973),pp. 303-330.

Magoulias, H.J., "Trades and Crafts in the Sixth (6th) and Seventh (7th) Centuries as Viewed in the Lives of the Saints", *Byzantinoslavica* 37(1976), pp. 11-36.

Majoulias, H.J., "The Lives of The Saints as Sources For Byzantine Agrarian Life in The Sixth and Seventh Centuries", *GOTR* Vol. 35, No.1, 1990, pp.59-70.

Mango, C., Byzantium, The Empire of New Rome (London 1996).

Marc Van Uytfanghe, "L'hagiographie, un "genre" chrétien ou antique tardif ?", *AB*, 111 (1993), pp. 135-188.

Monge, R. G. et als. (ed.), *Hagiography and Religious Truth: Case Studies in the Abrahamic and Dharmic Traditions*. Bloomsbury Publishing (2016).

Mullett, M., "Aristocracy and Patronage in the Literary Circles of Comnenian Constantiople", In *The Byzantine Aristocracy IX to XIII Centuries*, ed. M. Angold (Oxford, 1984), pp.173-201.

Nesbitt, J. and Wiita, J., "A Confraternity of the Comnenian Era," *BZ* 68 (1975), pp. 360–384.

Oikonomides, N., *Fiscalité et exemption fiscale à Byzance (IXe-XIe s.)*, Fondation nationale de la recherche scientifique, Institut de

recherches byzantines (1996).

Ousterhout, R., Master Builders of Byzantium, UPenn Museum of Archaeology (2008).

Palmer, J.T., *Early Medieval Hagiography*, Arc Humanities Press (Leeds, 2018).

Paschalidis, S.A., “The Hagiography of the Eleventh and Twelfth Centuries”, in The Ashgate Research Companion to Byzantine Hagiography, ed. S. Efthymiadis (Ashgate 2011) Volume 1: Periods and Places,pp.143-171, esp.143-144.

Patlagean, E., “Sainteté et Pouvoir”, In S. Hackel (ed.), *The Byzantine Saint*, New York, 2001), pp. 88-105.

Patlagean, E., “The Ancient Byzantine Hagiography and the Social History", In S. Wilson, Trans. J. Hodgkin, *Saints and Their Cults: Studies in Religious Sociology Folklore and History*, (Cambridge 1983).

Patlagean, E., “Theodora de Thessalonique: Une sainte moniale et un culte citadin (IXe–XXe siècle),” *Culto dei santi, istituzioni e classi sociali in età preindustriale*, ed. S. B. Gajano and L. Sebastiani (Rome 1984), pp. 39-67.

Patrich, P., *Sabas*, *Leader of Palestinian Monasticism: A Comparative Study in Eastern Monasticism, Fourth to Seventh Centuries* (Dumbarton Oaks, 1995).

Philippart, G., “L’hagiographie comme littérature: concept récent et nouveaux programmes ?”, *RSH* 251 (1998), pp. 11-39.

Rapp, C., "Byzantine Hagiographers as Antiquarians, Seventh to Tenth Centuries", *BF* 21(1995), pp. 31-44.

Rapp, C., "The Origins of Hagiography and The Literature of Early Monasticism:Purpose and Genere between Tradition and innovation", *UT*, Vol.1 (2010), pp.119-130.

Rapp, C., “Storytelling as Spiritual Communication in Early Greek Hagiography: The Use of Diegesis”, *JECS* 6 (1998), pp. 431-448.

Rapp, C., *Brother-Making in Late Antiquity and Byzantium: Monks, Laymen, and Christian Ritual* (Oxford: Oxford University Press 2016).

Rautman, M.L., *Daily Life in the Byzantine Empire*, (Westport, CT: Greenwood Press, 2006).

Rydén, L., "Byzantine hagiography in the ninth and tenth centuries:

Literary aspects, *Annales Societatis Literarun Hubbabiorum* Regiae Upsaliensis(Arsbok 1986).

Rydén, L., "New Forms of hagiography: heros and saint", *The 17 international Byzantine Congress, Major Paper*s, (Washington, D.C., 1986), pp.537-54.

Schulenburg, T., Jane, "Saints' Lives as a Source for the History of Women, 500-1000," in *Medieval Women and the Sources of Medieval History*, ed. Joel T. Rosenthal (Athens: U. of Georgia, 1990).

Sevcenko, I., "Levels of Style in Byzantine Prose" , *JOP* 31/1 (1981) pp. 289-312.

Sevcenko, I., *Observations on the study of Byzantine hagiography in the last half-century* (Toronto 1995).

Sevcenko, I., Three Byzantine Literatures. A Layman's Guide (Brookline 1985).

Talbot, A.M., “Family Cults in Byzantium: The Case of St. Theodora of Thessalonike”, LEIMWN: Studies Presented to Lennart Rydén on His Sixty-fifth Birthday, ed. J. O. Rosenqvist (Uppsala, 1996), pp. 49–69.

Vryonis, S., "The Panegyris of the Byzantine Saint" In S. Hackel (ed.), *The Byzantine Saint*, (New York, 2001), pp.196-228.

Wilson, N.G., *An Anthology of Byzantine Prose* (Walter De Gruyter-Berlin. New York 1971).

Wortley, J., "Legends of The Byzantine Disaster of 811", *B* 50 (1980),pp. 533–562.

Wortley, J., “The Genre of Spiritually Beneficial Tale”, *Scripta & e-Scripta* 89 (2010), pp. 71-91.

رابعاً :المراجع العربية:

الأمين عبد الحميد أبو سعدة،"التوظيف السياسى لرفات القديسين ومتعلقاتهم المقدسة في أوروبا العصور الوسطى"، مجلة كلية الآداب–جامعة المنصورة ، العدد الخامس والثلاثون ، (أغسطس٢٠٠٤)، ص٤٠٥–٤٧٥.

حجازي عبد المنعم سليمان ،"رفات القديسين ومتعلقاتهم المقدسة وتوظيفها في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية"، حولية سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط ، عدد ٢ (مصر ٢٠١٢)، ص٢١–٦٠.

طارق منصور محمد، قطوف الفكر البيزنطي، الجزء الأول، القاهرة، ٢٠٠٢م.

طارق منصور محمد ،" الحرس الإمبراطوري البيزنطي: من القرن السابع إلى القرن التاسع الميلادى، منشور ضمن كتاب: بيزنطة: مدينة الحضارة والنظم(دراسات وبحوث)، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠١٥، ص١٨٣-٢٠٣٠

عبدالعزيز محمد عبد العزيز رمضان، "البيزنطيون بين علاج الأطباء ومعجزات القديسين: دراسة في ضوء هجيوجرافيا العصر البيزنطي الباكر"، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، المجلد الخامس ٢٠٠٦/٢٠٠٧م، ص ٣٣-٩٧.

محمد زايد عبد الله، *دراسة في مصادر العصور الوسطى (التاريخ البيزنطي)*، دار مصر العربية، القاهرة، ٢٠١٥م.